

القضية العربية في الشعر الكويتي

خليفة الوقيان

المؤلف

خالد سعود الزبيد

محرر

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

المطالع لهذا الكتاب لا يشك في الجهد الذي بذله المؤلف في تحصيل مادة الموضوع ، ويدرك بلا لاي ما قاساه صاحبه من شدة الأرض وصلابتها في تجبيع مادته الشعرية .

لقد استطاع المؤلف ان ينتزع المادة انتزاعا وان يؤلف بين شواردها الفناجحات في بطون المجلات وصدور اصحابها .

فالارض لم تزل بكرا ، صلبة المواطيء ، وماؤها بعيد المنزع ، فهي قليلة المصادر متباعدة ، رغم قرب مسافات الزمنية من بعضها .

انها لا تنهيا الا لاولئك المشهرين عن سواعد الجذ حقا ، الخائضين في مسالك العزم ، لا ينثيهم عن مطلبهم تردد او تكاسل .

ففي الكتاب اعداد من الشعراء ، اسماؤهم ما كانت معروفة حتى لارباب الصناعة والرحالة في هذه الاصقاع المجهولة والقيعان المتباينة .

كيف تسلس المؤلف الى ديار هؤلاء الشعراء ؟ كيف التقى باناثهم ؟ كيف اقتلع ابواب حصونهم فدخلها عنوة



بعد أن عزت على كثيرين راموها قبله ؟ كيف الف بينهم
فماذا بهم دائرة واحدة هم حلقاتها المنظمة ؟ ذلك هو
الغش ، وتلك هي العزيمة التي لا يطار إليها على
اجنحة الخيال .

قسم المؤلف كتابه الى خمسة فصول تحدث في
الفصل الاول عن (ظهور شعر الفصحى في الكويت)
فحدثت عن المصادر التي كانت شحيحة المعطاء ، وعن
تضارب اقوالها حين كان له سبق الزيادة في هذا
المضمار . وثني ما أبداه بعض من سبقه في الرأي حول
كون عبد الجليل العلباطياني هو بداية شعراء الفصحى
في الكويت ، مرجحاً أن أول من عرف من شعراء
الفصحى هما خالد عبدالله العسائي المتوفى ١٨٩٨ م
وعبدالله الفرج المتوفى ١٩٠١م فقد وجد الاثنان في فترة
زمنية واحدة وكانت بينهما صداقة متينة ومراسلات ،
وكانا يمكنان في شعرهما الصورة الحقيقية لطبيعة
المشكلات والاهتمامات البسيطة التي كانت تشغل
سكان تلك البقعة . كما أن شعرهما من حيث القيمة
يمثل طبيعة تلك المرحلة التي يتوقع الاستاذ خليفة أن
يكون الشعر فيها يتخلفا .

ثم تحدث الوثيقان في الفصل الثاني من الكتاب
القيم عن الوعي السياسي - بواعثه وأثاره - كتعبير
للحديث عن القضية العربية في الشعر الكويتي .
فكشف عن بواعث هذا الوعي المبكر رافقاً بعد الكويت
عن مراكز الثقافة والعلم في بعض العواصم العربية
الكبرى ، فطرق الى معاهدة الكويت مع بريطانيا عام
١٨٩٩ وأثر توقيعهما على مشاعر الناس الذين تربطهم
بالخلافة العثمانية روابط الدين كما تطرق الى المجلس
الاستشاري الذي أقيم عام ١٩٢١ وهو أول مجلس
للمشورى يشارك الناس فيه الحاكمين إدارة شئون
البلاد . وقد تحقق بعد أن أدرك الكويتيون ضرورة
تطوير اداة الحكم بإشراك الشعب في تحمل المسؤولية
فكتبوا بذلك عريضة للحاكم الذي استجاب لمطالبهم
لأدراكه أن من العبث الوقوف في وجه تيار الإصلاح ، ثم
عرج المؤلف على المجلس التشريعي الذي تأسس عام
١٩٢٨م فنحدث عن بواعثه وعوامل حركته .

لقد كان الاستاذ خليفة الوثيقان موفقاً فيما توفيق
في تمهيده التاريخي هذا فليد حلل الأحداث بلباقته
المؤرخ القدير تحليلاً غير مطروق ولا مسبق في معظمه
فجاز في عمله هذا قدرات من سبقه من المؤرخين
والمختصين من أمثال راشد الفرحان صاحب كتاب
مختصر تاريخ الكويت والدكتور صلاح المعاذ مؤلف
كتاب معالم التغيير في دول الخليج والدكتور حسن
الإبراهيم مؤلف كتاب الكويت ، دراسة سياسية وغير
هؤلاء ممن يخرز بأسمائهم فهرس مراجع ومصادر
الكتاب .

ولقد اتى في هذا التمهيد أضواء على دور بعض
من لا زالوا يحلون نيائين التقدير في تاريخ الكويت
وكشف مواقفهم المهزوزة والمنوثة دون أن يتلم أجادهم
ومواقفهم بكميات نابية بل استعمل أسلوب التساؤل
والاستفهام الذي كاد يكون تقريرياً في كثير من مواقفه .
ولا أريد أن اضرب أمثالا بما في الكتاب للتدليل
على هذا بل أتركه للقارئ وحده ليلمس هذه الإيهامات
والإشارات وحده دون غرض يفرض عليه .

واعتبرا من الفصل الثالث يبدأ موضوع الشعر
في موقفه من القضية العربية وهو صلب الرسالة
ويضوئونها المقصود فيبدأ المؤلف الشعر من قضايا
التحرر والوحدة ويتدرج مع البدايات ويشير الى اسباب
عدم تناول الشعر الكويتي للاستعمار العثماني ويعزوه
الى اسباب من أهمها أن البلاد لم تتعرض للاحتلال
العثماني المباشر ولم تشهد من صنوف الاستبداد بما
شهدت بقية الأقطار وإن رأى أن هذا لا ينفي وحده
كبير للسلوك على جرائم العثمانيين ، ويضيف الى
ذلك اسباباً أخرى كانشغال الناس بالاستعمار البريطاني
الزاحف على الخليج ، ثم يتحدث عن تفاعل الشعر
الكويتي مع الأحداث العربية والحث على النضال ضد
الاستعمار وأوانه .

ويخصص الفصل الرابع عن قضية فلسطين التي
أجثت كما قال : مركز الصدارة بين القضايا العربية
ويرى أن الشعر الكويتي قد توجه مبكراً للقضية
الوطنية وأنه قد أدرك منذ عام ١٩٢٩ خطورة ما
يؤسسه الانتداب البريطاني لها من احباط لواقعها
غريسة في شبك الصهيونية فيشير الى قصيدة خالد
الفرج التي قالها عام ١٩٢٩م والتي تطرق فيها الى
وعد بلفور وإلى قصيدة أخرى للشاعر محمود الأيوبي
قالها في نفس العام أيضاً .

ثم يسير مع تاريخ القضية الفلسطينية عبر الشعر
الكويتي ويورد ما قاله الشعراء عن أحداثها بعمد
ذلك التاريخ الى أن تبت مهزلة التقسيم والنكبة .
ويتابع المؤلف مسيرة الشعر في متابعاته لهذه
القضية الى أن يأتي ان موقف الشعر الكويتي المناصر
للمقاومة الفلسطينية فيذكر قصيدة عبدالله سنان في
منظمة فتح حين أعلنت عن نفسها وهي التي بدأت
بنضالها عهداً جديداً يشر بالفوز والنصر بعد نكسة
هزيان .

ويختتم الفصل بقصيدة الشاعر السيفر الاستاذ
عبدالله أحمد حسين التي يحيى فيها رجال الجبهة
الشعبية الذين اقتنحوا مطار اثينا عاصمة اليونان
ودمروا طائرة للمدو كانت جاثمة فيه .
وبعد هذا يخلص المؤلف الى الفصل الخامس وهو
الاخير من فصول الكتاب ليتحدث عن الخصائص الفنية

العامة للشعر الكويتي الذي استشهد به في فصول الكتاب السابقة ليبين ان أهمية هذا الشعر تكمن في تيمته التاريخية فلقد جانب التوفيق بعض هذه القصائد خاصة ما جاء منها في المراحل المتقدمة فجات من حيث الشكل بعيدة عن روح الشعر وأصالته لما انتقلت به من وقائع وأسماء وتصوير للأحداث مباشر بلغة قريبة من النثر .

وتطرق الى ما وقع فيه بعضهم من هنات لغوية ونحوية واعتبر الأستاذ أحد العدوانى أول شاعر كويتي خرج بالقصيدة السياسية عن سننها المألوفة في تمسيدته التي قائلها عام ١٩٤٩م ومطلعها : —
دعوا أهواكم وأرعوا شياها

أساتم رعيها بين المرائى

وتناول المؤلف في هذا الفصل مضمون الشعر فأوضح ان اهتمام الشعر بالافراد وأغاليه ما للجامعة من أهمية واثار في الأحداث عائد الى تقصير الوعي من ادراك ما للجامعة من اثر في صنع المكاسب وفي تهئية الظروف الملائمة لظهور الفرد المميز .

ويعد :

فان هذا الكتاب يكاد يكون وثيقة لكل ما قد قيل من شعر سياسي خلال تاريخ الكويت الشعري كله حتى عام ١٩٦٧م ، وسجلا شاملا لما مر بالوطن العربي من أحداث .

كتب بلغة هي السلسيل في السلسيل وحسن ادائها ومثانة منطقتها وقويم حجتها مع فحة مقامية في ضبط المادة وربطها بأبعاضها بأحكام عديم التحيق شديد فضلا عما احتواه هذا الكتاب من تهيد تاريخي اشرا الى انفا ادلى بتصور جديد يخالف في بعض جوانبه للأجتهدات التي سبقته في كتب التاريخ ذات الاختصاص (٥)

وترجم لاثنتين وعشرين (٢٢) شاعرا كاد معظمهم يكون نفسيا او غير معروف لىدى كثير من القراء والدارسين .

وأعطى في نهاية مطافه صورة جديرة بالتقدير للخصائص الفنية العامة للشعر القومي في الكويت من حيث الشكل والمضمون في نظرة بعيدة عن الغلو والإجحاف .

وخلاصة القول فيه : انه دراسة قيمة واثية شائنة للغة العربية من خلال الشعر الكويتي لم تطرح على هذا المنوال من قبل .

خالد سعود الزيد

— الكويت —



اعلان المسابقة الادبية

لصام ٧٨ / ١٩٧٩م

مجمع اللغة العربية

٢٦ شارع الدكتور طه حسين

(مراد سابقا) بالجيزة

يعلم مجمع اللغة العربية عن مسابقة ادبية لصام ١٩٧٨/١٩٧٩ وموضوعها « الطفولة في الادب العربي » وذلك بالشروط الآتية :

١ — الا يكون النص قد سبق تقديمه لاية جائزة او درجة علمية .

٢ — اذا كان النص مطبوعا يشترط الا يكون قد مضى على نشره اكثر من سنة في ٢١ من مارس سنة ١٩٧٩ وهو اخر موعد لتقديم النص ويرسل المتسابق تمهدا بتحقيق هذين الشرطين .

٣ — المسابقة مفتوحة للكتاب في جميع البلدان العربية، ويمكن الإطلاع على الشروط بدار المجمع ٢٦ شارع الدكتور طه حسين (مراد سابقا) بالجيزة .

٤ — للمسابقة ثلاث جوائز :

١ — أولى قدرها مئتان وخمسون جنيها مصريا .

٢ — ثانية قدرها مائة وخمسون جنيها .

٣ — ثالثة قدرها مائة جنيه .

٥ — يرسل المتسابق أربع نسخ مكتوبة على الآلة الكاتبة .

باسم الأستاذ الدكتور أمين مجمع اللغة العربية ٢٦ شارع الدكتور طه حسين (مراد سابقا) بالجيزة . في مظلوف مفتق مسجل مكتوب عليه (المسابقة الادبية)

آخر موعد لقبول النص ٢١ مارس سنة ١٩٧٩ .

٦ — المسابقة مفتوحة لمن لم يسبق له الحصول على جوائز المجمع في السنوات الماضية .

٧ — لصاحب النص الذي لم يفز ان يسترد نسختهين مما قدمه .

قراءة لمسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم

سليمان الخليفي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>



احساسهم بالالم وعدم قدرتهم على المخي في هذه الحياة،
ثم عادوا من حيث اتوا .

لماذا أهل الكهف :

واضح أن هذه المسرحية (1) تنهض على اكتاف
الاسطورة الدينية ، دون أن تتبناها . فضلا عن أن
فكرتها مستحيلة ، لا تدخل في تركيب تاريخ فرد أو
مجتمع . لذا جاءت هوم أشخاصا ، فائضة عن
الحاجة ، أن لم تكن رتيبية !

يقول الدكتور علي الراعي : أن خط الحركة
الرئيسية فيها هو ولا شك الخط الفكري الذي يقول
أن الزمن يهزم الأفراد ، ولا مفر من هزيمتهم . (ثم يعلق
على هذه النقطة في الهامش : هذه في الواقع هزيمة
تقدمية — مشيرا إلى فكرة برنارد شو ، القائلة بأن —
الموت يطوي الجهود ويسلمه إلى الفناء ، ويبذر بذور
الجذب مع كل ميلاد) .

فإن الجهود الذي يطويه الفناء في هذه المسرحية ،
وأي شيء تم بذاره ؟ لا شك أن برنارد شو قصد الموت

نحن نقتنع بشخص شهرزاد ، لانه تمثيل الانتفاء
الى جنس مهدد . ونعجب بلكائنها الكونية التي تثير
فيها الغرائز .. كما نهتر ، لقوتها القهري ، ولنجاعاتها
ولثرويضها لشهريار . وعلى الرغم من حدة الخيال
الشعبي ونشاطه ، حيث تقوم شهرزاد بكشكلة ، فإن
التجربة ممكنة . وذلك حين تتصل بالمرأة التي لا تعدم
تناضل ضد مشروعات قتلها .

والمرأة تقتل ، يوم كانت نواد طفلة . وتقتل بحظها
الذي هو نصف حظ الذكر .. سواء في الميراث أو في
الشهادة . وتقتل بكونها ، تخطو ويسحب البساط من
تحت قدميها ، بسبب الفتنة ، بسبب أنها عورة ، الى
آخر مناسبات ودواعي القتل !

أما العلة في أهل الكهف ، فهي كونها مشكلة كاذبة .
كاذبة ، لانها لم تتخرج عن دماغ بشري شدد اوتاره
على نول التاريخ .

فما الذي حدث ؟ أن أشخاصا ناموا بأطول مما
يحتفل تكوينهم الطبيعي ، ثم صحوا دون أن يكونوا على
علم بذلك . حتى إذا أدركوا شبيحتهم ، وصفوا لنا

والمحنة لدى مرنوش أو يبلخا ، في تقديرى ، لا تخرج عن نطاق هذه الفكرة ، ولا تخفى قشرتها الى اعيق .. حيث الانسانية ، بذولة في المستويين الحضاري والاجتماعي ، قائمة في الحدث والمحاولة والفشل والاحباط والتحطيم والعسف والعنف والنضال الخ ... وها هو مرنوش : — ان هذه المخلوقات لا نهينا ولا نهينا ، هؤلاء الناس غرياء عنا .. (ويصور هذه الغربة بحاله عنيدا تعرف عليه الناس من وجهة ومن كلامه ، وتهلموا : « هذا احدهم .. هذا احدهم » .. اننا بعيدون عن هذه المدينة وعن سكانها بمقدار ثلثائة عام .. وها هو ذا عالم يحيط بنا ، كأنه بحر زاخر ، لا نستطيع الحياة فيه .. وكأننا سبك تغير مأوه من حلو الى ملح) (٢) .

ونينا عدا فضول الناس ودهشتهم ، لا نجسد جوانب اخرى ، لعدم الفهم المتبادل والاحساس بالغربة . وليس هناك أي احتكاك بالمدينة ولا بناسها ، لا صراع حضاري أو تناقض في القيم والماهيم التي يمكن ان تكون المسيحية قد تمخضت عنها عبر ثلاثة قرون ، ولا أي نوع من الانسياق الى .. ازيمات نفسية أو روحية ..

أما سر معاناته ، وذلك من جراء فقدانه لابنه ، فهو في كونه قتي وابنه شيخا . مرنوش حريص جدا على عقله « .. ساند عقل » ، ساند عقله » .

ولأن الزمن هو المشكلة التي تكشف لمن تحت وطائنها وهو الإنسان ، وليس الإنسان في اقتتالسه وضراعه القاري ضد مشكلة الزمن ، فقد جاء هذا الإنسان عاجزا ، مركبا على فكرة الفشل . حتى اذا وجد نفسه في حياة جديدة ، يموته الزمن ان يخرج منها الى حياته التي نام عنها (٣) .. انهار كلية . وهي نتيجة وصل اليها الثلاثة ، وحتى تقطير لم تسلم غريزته من الانهزام !

مشلينيا — الزمن :

ان ازمة مشلينيا هي مثل رابع لمشكلة الزمن .. فهو أي مشلينيا وبعد ذلك الشوق الجارف .. وبعد ان لقي الحبيبة : ومع كل الاسباب الضرورية التي تؤكد له على ان هذا اللقاء .. كان ، وأن الحبيب موجود امامه ، لحبا ودما . الا انه ليس لحبا ودما .

من جانبها كل شيء حقيقي وصحيح مئة بالمائة . ومن جانبها كل شيء مختلف . هو يلتقي بالشبه المثالي وهي تلتقي بتاريخ بعيد .

وهو حين يصارع ، رافضا الحقيقة ، انيا يفعل ذلك ضد فعالية الزمن واثاره . يصارع ضد حقيقة مروعة .. ان يفقد حقه وهو قريب منه ، وهو متفقد جميع حياته (الارسطوطاليسية) ما عدا الصدق المادي .

ضمن التجربة الواقعية .

وهل كتب توفيق الحكيم هذه المسرحية ، كسي يعظنا بان لا نصحو .. لان الزمن سيكون لنا بالمرصاد ؟ وابن الفكرة التقنية في هذا الاتجاه الانهزامي ؟ .

وقد كتب الدكتور محمد مندور : ونقطة الضعف في فلسفة الحكيم ، هي انه لا يؤمن بقدرته الانسان على خلق الروابط الكائنة في الحياة من جديد ، اذا ما قطعت ، ففلسفته انهزامية .

يقبل او لا يقبل :

مشلينيا (مرنوش) : اننا انت في الواقع امام حياة ، وانت لم تزل قتي . (الحياة والشباب) هب اننا حياة

جديدة قد منحتها ، اثابها ؟ ! وفرضية الحكيم التي تقوم عليها المسرحية ، والخاصة بالزمن ، هي ان حياة جديدة منحت . والمائة هنا بالخيار .. تقبل او لا تقبل ! وذلك ضمن عملية عقلية حادة ، مجردة من العاطفة) .

ويجب مرنوش : (حياة جديدة : ما السدم الا الحياة المطلقة المجردة عن كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب) .

فالحكيم يؤكد هنا ان الحياة لا تنمو فجأة ، منفصلة عن مجموع العلاقات الضرورية — كالتاريخ والروابط العاطفية والغايات ، ومن ضمنها الزمان والمكان .

وبسبب من هاتين النقطتين الاساسيتين : (الحياة لا تحدث مطلقة :) و (العقل بعيد صاحبه الى عالم الزمان والمكان !) يلقي مرنوش بذا حدوث تلك الحياة . أي يبدأ بقتلة اهل الكهف من الانسلاسل .

سوى ان هذا الخط الفلسفي المادي ، لا يلبث ان يضطرب من جديد ، حين يعود مرنوش ، مؤكدا على ان القلب لا يخضع لنابوس الزمن .

وهذه نقطة اخيرة .

اوليس من المنطقي ، لدى من منح حياة جديدة ، ويكون مالا تطلب لا يخضع لنابوس الزمن ، ان تنتفي مشكلته العاطفية ؟ اذ انه يستطيع ان يصل بواسطة هذا القلب المجيب الى أي عالم ليفترق منه ما يحتاجه من غداء .

المنصة :

والفرضية هنا :

الشباب ، البعث ، انقطاع الصلة ، يعني استحالة الحياة .

ويقوم الكاتب بملء شخصياته ، بسر محتهم . وهو سلسلة العذاب الذي يستشعره مرنوش بادراكه الحاد للفرق الزمني .. مما يجعل احساسه وخياله قاصرين عن احداث صورة حقيقية لوجوده ، الامر الذي يملئ عليه الاحساس بأنه شبح .

المثل ، فترى النظامة والهول والشقاء الادمي الذي ينتنلنا ..

ان التجربة الذاتية ، هنا مشقوقة الى عقل وقلب . ونسال : هل كانت بقطة مشلينا من ليلة الكهف ، بقطة للقلب فقط ؟ ام انه استيقظ ذاتا كابية ؟ وهل كان ، عندما تصور بريسكا الثانية على انها بريسكا الاولى ، يفعل ذلك بعقله ، وبعد ان ادرك الفارق ، لم يكن ليدركه عقلا قلبا ؟

يخيل لي أحيانا ، أن هذا الخندق الذي حفره الحكيم في الذات الانسانية ، قد هيا له وسيلتين :يتين ، اعاناه على تكوين الامة ، وقد تجاهل حقيقة ان الاشياء اذ تصبح مضيفة ، او فظيعة ومرورة للانسان .. فانما بفعل ما تنطوي عليه من حقيقة ثابتة وليس بارتجاج العقل حينا او بانعصار القلب حيناً آخر ! .

لكن تعد خطوة الى الوراء قبل النقطة الاخيرة:

ولنفترض — وهو فرض واقعي — ان كل ما قيل بخصوص هذه المسرحية ، انما كان عزما على وتر مقنوع ، ثم اجدني اتساءل : ترى هل ان مشهدا يجلد فيه انسان بقسوة هجيبة ، هو المشهد الضروري لتصوير الظلم ؟ ! وليس من الممكن ان يعمد الى أبسط الإنكار واكثرها مشاعا وامتراجا في ضمير الناس ، وتناولها واجباها في اشكال خلاقية .. تضطرب بكل ألوان الفلسفة والفكر ؟

ان السؤال هنا : لماذا اهل الكهف ؟ ولماذا استيقظ ، رغم المدة ، الا ان ارى في هذه المسرحية فكرة مستحيلة .. وخطرا حارعا ! أو قطرة مائية مزروعة في قلب شعلة تنحطم على تضاريس كرتها تالقات بهووسة ، شكلت صورة الحبيبة المستحيلة في حلم ليلة حزينة ارقها الارق .

مصليان الخليفي

— الكويت —

- (١) ستجد قراشي لهذه المسرحية ، من حيث هي تتناول موضوعا فكريا وفلسفيا . وليس من حيث يجيد الحكيم في بنائه للاحداث او في ادراجه للحوار . لذا فقد اتسمت هذه القراءة ، بنفمة سلبية .. لم اسطع التغلب عليها .
- (٢) اهل الكهف (ص ٩٥ — ٩٦) .
- (٣) واليوم هنا تبدأ نطق المسرحية .
- (٤) ان بريسكا ان تصمد لم نظري لأي شيء .. (كما تحاول ان توحى هذه العبارة) .. انها امرأة احبت .. ولكنها امرأة لم اسطع ان تحبل جرحها لتجابه به . وهي نهاية يتناقض مع كل الصفات المذكورة في هذه الصفحة ..

ولقد اجادت بريسكا التعبير عن مخنته ، اذ هي تقول لغاليلاس : — « اريد ان اقول لك شيئا مروعا ، وقد وجدت .. ونقطة من طرفه عين » .

كما يناضل ضد تكشف الكارثة الرهيبة .. بريسكا : — نعم يا حبيب جدتي . هذا الجسد عمره عشرون ربيعا .

ان ما حدث لمشلينا هو انه استيقظ في لحظة بعيدة جدا عن ليلة حلمه السعيد . وهي لحظة يشرف فيها على الجنون . « ايها الله ، اعطني عقلي ارى به . اعطني النور او اعطني الموت » .

بريسكا — بداية ونهاية :

وبريسكا شخصية عادية ، تبدأ خاتمة من القصر الذي يحتويها ويحتوي اشخاصا خرافيين . عقلانية : « ان قلب المرأة يتسع دائما لله وغير الله !

امراة : لا شك ان هذه القديسة كانت تفضل ان تكون امراة لو انها استطاعت .

قوية : انا خاتمة لا تكلم . انك لم تعد تخيفني » . ثم تنتهي بعد ذلك ، بدخولها الى الكهف ، كما خرج منه اصحابه بلا مبرر .

واعتقد ان الكاتب هنا ، يقع في تناقض عظيم . فالذين يتصدى لهؤلاء الفتية — اصحاب المبدأ ، وموقف التحدي للبلك — ويحملهم على الشعور بالقرية والوحدة والشبيبة فيرتدون الى الكهف . اما بريسكا ، فتتصدى لكل شيء (٤) .

وربما قال قائل : ولم لا ؟ فهم فقدوا اشياءهم ، فنكسوا . اما هي فقد كسبت ، فاقدمت . ولهذا السبب اوصت غاليلاس ، بعد ان يعلم النادر بها حتما !! ان يذكر لهم .. انها امرأة احبت ..

واقول : انها لم تكسب . ولم يكسب من يعقل ان في الكهف مأواه ؟

المسرحية والعقل :

ان الطابع الديناميكي السائد في حركة هذه المسرحية ، او لنقل ان العملية الدرامية التي يقوم بواسطتها بناؤها .. هو ان العقل مصدر للشقاء كما ان القلب مصدر للضلال .

يمليخا : البست لنا عقول ؟

مرفوش : كان ليس لك عقل .

مشلينا : رحيك . اتريدين ان افقد عقلي ؟

بريسكا : ارايت ما دينا في عالم القلب فلن نرى الا نورا ... (وكان تعبير يميلخا : اعنى كما الحب) .. وكان ينبغي ان تذكر الجسد المادي ، لننزل الى عالم

تاريخ الكويت



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Saknrit.com>

الحلقة الثانية

١ - ص ٢٩ : قال الدكتور في حديثه عن ابن سند ووصف شعوره المعادي للسعوديين : (ولتضرب مثلا قصيدته الطويلة التي يحيي فيها ذكر ثويني امر المفتق ، والذي اغتالته يد طمعيس بناء على تدبير الوهابيين كما يقول) وأحال الدكتور الى كتاب « مطالع السعود » . ان عبارة ابن سند التي اشار اليها الدكتور لا تنص على (تدبير الوهابيين) وكل ما هنالك هو قول ابن سند : (وقد أكثروا من الاشعار في مدح تلك الواقعة ومدح بدعتهم فلذلك احببت ان ارثي ثوينيا بابيات حال الكتابة :

هو اللث ، وافاء على غرة سهم

فهد به للجد اطامه الشم)

ثم اورد قصيدة في ٤٣ بيتا ، لم يصرح في واحد

واستاذنا الدكتور احمد ابو حاكمة نعى على من الف قبله عن تاريخ الكويت بأن احدا منهم لم يستند الى اصول البحث التاريخي واراد بكتابه هذا ان ينهج نهجا علميا خالصا ، وان يعرض للاحداث التاريخية عرضا موضوعيا بعيدا عن محاولة فرض النتائج واصدار الاحكام الفاطمة ، وعلى هذا فسنحاول الاستفادة من آرائه وعلمه الجم حينما نمر مرورا عابرا على كتابة القيم ونكرر القول ان غايتنا من وراء كل ذلك مجازية الاستاذ الكريم الدكتور الحديث وتبادل الرأي للوصول الى الحقيقة التي هي هدف كل باحث ولو رضي الدكتور منا ان نقابل كتابه بالتقريب والثناء ، ونعيذه ان يرضى بذلك ، لنزلنا بالكتاب ومؤلفه الجليل عن الدرجة الملائمة ، من التقدير والاحلال .

منها ان الاغتيال كان مديرا ، اما ما اشار اليه ابن سند
من الاتساع فهو قصيدة للشيخ حسين بن غنام في قتل
ثويني ، تقع في ٨٧ بيتا اوردها ابن غنام وابن بشر في
تاريخيهما ، وفيها :

برب طميس ، لا طميس تقسمت

سحاب رجز بالانبا لها شر

ولم يرد في هذه القصيدة ما يشير الى تدبير الاغتيال
بل البيت الذي اوردها يدل على العكس ، ولندفع
المؤرخ التركي الذي هو مصدر ابن سند يتحدث عن
قتل طميس قال (١) : (اما القاتل فقد تجمعوا عليه
وقتلوه حالا ، ولم يعرف هل هو من اتباع عبد العزيز
الوهايي او من جماعة شيوخ بني خالد . اما محمد
العريس والبراك فقد كان كل منهما يطمع بالاستيلاء
على الاحساء وجعلها تحت حكمه . وكان الشيخ ثويني
يسيل الى محبد العريس ويسانده ويعدده باعطاء حاكمية
الاحساء اليه ، ولذلك اصبر البراك الفدر به ، ونفذ
ما اضره هذا ما اتجهت الطنون اليه في حينه) .

واذن فالمؤرخ التركي يرى ان تدبير القتل كان من
براك ، الذي كان رافقا لثويني .

ثم نأخذ وجهة نظر المؤرخ التجدي ، وهو الشيخ
عثمان بن بشر صاحب « عنوان المجد » وما هو نص
قوله :

(تسلط على ثويني عبد اسمه طميس ، ومن عبيد
جبر بن خال ، فقتله ، ذكر لي انهم قالوا للشيخ :

ادع الله على ثويني . فقال : قطع الله روثه .

وكان هذا العبد قد فارق براك بن عبد الحميد
حين نقض العهد وتبع ثويني ، وجاء الى عريان المسلمين ،
وغزا مع من ركب من تلك البوادي ، فوافقوا غزو من
قوم ثويني ، واخذوا الجيش ، واخذوا العبد ، وصار
مع بني خالد عند براك ، فمصم عزه على قبل ثويني ،
وكان قد اظهر ذلك عند بعض من حضره ، وهم
يسهزون به ، فعين نزل ثويني الشباك وجلس معه
اثنا أو ثلاثة وهم ينتظرون الخيمة تبني لهم ، والناس
يحولون رحالهم ، فأتى العبد من خلفه ، ومعه زانة
فيها حربة ضعيفة ، فطعنه بين كتفيه ضربة واحدة ،
ليست نافذة ، ولكن الله سبحانه جعل فيها حتفه ، وقتل
العبد من ساعته ...

وكان براك بن عبد المحسن بينه وبين حسن بن
مشاري مكاتبات وبراسلات لانه ندم على المسير مع
ثويني ، وذلك لانه رأى وجهه واقبله لاولاد عريس ،
وعرف انه ان استولى على الاحساء لا يؤثر عليهم احدا ،
فلما قتل ثويني انهزم ببراك الى حسن بن مشاري ()
(وكان قد ارسل ليكون ردا لعريان المسلمين) .
واذن فمن اين اتى الدكتور الفاضل بقوله : (الذي
اغتالته يد طميس بناء على تدبير الوهابيين) ان ابن سند

لم يقل هذا وان لم يخف حقه ولكنه لم يستطع ان يقول
هذا القول وبمصدره المؤرخ التركي قد اوضح ان الامر
بتدبير من احد اتباع ثويني نفسه . نرى ان ما قاله
الدكتور هو من قبيل تحويل النص ما لا يتحمله ، وقد
علمنا هو وامثاله بن العلماء ان واجب المؤرخ التجرد
التسام للبحث عن الحقيقة .

٢ - وقال الدكتور بن صاحب « لمع الشهاب » :
(انه يرى ان الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد
الوهاب ، كان يرى ان اعمال القرصنة التي كان يقوم
بها القواسم من اهل رأس الخيمة حلال وواجب ديني)
ثم احال على الكتاب وما هو النص لنفاره ولنحاول هل
نصل الى ما استنتجه الدكتور منه قال صاحب كتاب
« لمع الشهاب » : (وكان الشيخ علي لا يأكل هو وعياله
الا من الهديا التي يجيء بها له القواسم لانه يقول :
كل ما يغنيه اهل رأس الخيمة فهو اكل من حليص
الوالدة) هذا هو النص وثمن هذا ان اهل رأس الخيمة
كانت تقوم بينهم وبين الانكليز حروب ذكر صاحب
« لمع الشهاب » طرفا منها فهل نستطيع ان نجد اساسا
للحكم على عالم جليل يدفعه ورعه عن قبول كثير من
الاحوال التي ينفذها عليه البراك بل الملوك كثير من

وكان يتولى وظيفة رئيس القضاء وخليفة للامام الشيخ
محمد بن عبد الوهاب ثم لا يقبل سوى ما جاءه من
القواسم وذلك بحالهم هل يصح بان نصفه بتحليل اعمال
السرقة والقرصنة ، والتهب ثم لا نكتفي بذلك بل نحكم
بانه يرى ذلك واجبا دينيا حسبما يعبر الدكتور الفاضل ؟
اي ان احكامنا التي قبل تحصيل النص ما لا يحتل هذا
فيما لو نظرنا الى ذلك النص نظرة مجردة اما باعتباره
مما صدر عن عدو للشيخ تفتيش صفحات كتابه
بالكذب ، وتتمتع بالعداوة ، فكيف يسوغ لنا ونحن
نبعث عن العقاقير مجردة من كل غاية ان نقول هذا
القول ؟ .

٣ - يصف الدكتور الفاضل حكم بني خالد في شرقي
الجزيرة بالافوصف التالية : (كان حكما طابعا حسب
السلام والحفاظ عليه) (٢) ، ويقول : (ان الحكم
الخالد لشرق الجزيرة با جيل عليه من بسط الامان
على سائر الاجزاء المستقلة به كان امرا لازما لاعطاء
الكويت الفرصة حتى تنمو وتزدهر (٣) . ويقول : وقد
راينا حرص بني خالد على استبقاء الابن والسلام في
المنطقة حتى تزدهر التجارة (٤) .

لقد وضع لنا الدكتور قاعدة نسري عليها في تقبل
مثل هذه الاحكام ، وهي القاعدة التي وضعت تديسا
عند معالجة القضايا التاريخية تلك عدم قبول اية
تفسيرية تاريخية ما لم تستند على اساس ، فما هو
الاساس الذي بنى عليه مؤرخنا الجليل احكامه هذه ؟
هذا ما نجهله وما لم نجد له اثرا في كتابه الذي نتحدث

عنه ، اللهم الا اذا اردنا ان نبني تقنياتنا التاريخية على أسس من التخيل بدون استناد الى أصول تاريخية !!! .

ان النصوص التاريخية التي نحتاجها في المصادر التي اعتمد الدكتور الفاضل عليها في كتابة هذا التاريخ لا تنفق مع تلك الاحكام ، بل كلها تكاد تجمع على ان حكم بني خالد لتلك البلاد كان حكيا بدويا قبليا يقوم على اساس الظلم والبطش من قبل البدو الاثيويا للحضر الضعفاء ، فابن بشر في كتابه « عنوان المجد » يبدأ الحديث عن استيلاء حكام بني خالد على الاحساء ونواحيها بالابيات الشعرية التي قالها اديب معاصر من اهل القطيف ، وختنها اديب معاصر من اهل نجد ، وتلك هي :

رايت البدو ال حديد لما

تولوا احدثوا في الخط ظلمنا

اني تاريخهم لما تولوا

كفانا الله شرهم : (طفي لما)

ويختتمها الاديب النجدي حميد بن لعبون بقوله :

وتاريخ الزوال اتي طباقا

(وغار) اذ انتهى الاجل المسمى

ثم اننا اذا تتبعنا اخبار حكم ال حديد الخالدين تلك الحقبة من الزمن لا نجد ما يدل من قريب او بعيد على ان لهم رغبة في الاصلاح وازدهار التجارة ونموها . وامر ثالث فالمعروف عن البدو وال حديد بدو مجانفهم لكل ما يتصل بالحضارة والعمران ، وهذا امر مدرك بالبداهة من عهد ابن خلدون او قبله .

وامر رابع فمصحفة تاريخهم ملطخة بسفك الدماء وبالشقاق والنزاع فيما بينهم بحيث يقتل الاخ اخاه ، فعلى اي اساس يمكن القول بانهم يريدون اصلاح غيرهم وهم يرتكبون الموبقات فيما بينهم .

ان هذا مما يحز في نفس كل عربي ان توصف طائفة من قومه بهذه الصفة ، ولكن التاريخ لا يرحم ولا يقبل من احد مجاملة .

ولعل لدى الدكتور الكريم من النصوص التاريخية التي استند عليها في احكامه تلك ما كان يجب ايراده في تاريخه ، لكي تتغير النظرة الى عهد حكم هذه الطائفة من العرب الافواج الذين سيطروا على شرق جزيرة العرب حقبة من الزمن .

٤ - ويقول الدكتور في سياق الحديث عن بني خالد ، (وتشير الكتابات (٥) التاريخية العربية الى انه كان يمتدح شيوخ بني خالد ان يتحدوا تحريكات شراء مكة بهم عام ١٥٨١ عندما اراد هؤلاء ان يتحدوا سلطة بني خالد في الاحساء) واحال في الخاتمة الى ابن بشر ، واذا رجعنا الى ابن بشر فانا نجد فيه هذا

النص : (سابقة : قال العصامي في تاريخه : وفي سنة ٩٨٩ هـ سار الشريف حسن بن ابي نهي الى ناحية الشرق في نجد في جيش كثيف ومدافع كبار ففتنح حصونا تعرف باليديع والخرج والسلمية واليهامة ومواقع في شواخ الجبال ، ثم عين من رؤسائه من ضابطها على امور شرطها ، وعاد راجعا فآخبره ببعض عيونه ان جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا في طريقه ، وترصدوا له جراند الخيل ، وكرام الابل غوافاه الجيش الخالدي ، فوجده على غاية الحذر فتقاربوا وتبايلا فغر الخالدي وانكسر وقتل اكثرهم وغنم خيلا وابالا ولم ينج الا الهارب) .

هذا نص كلام ابن بشر ، وقد اختصره من كتاب العصامي المعروف « سبط النجوم العوالي » فما الذي يفهم من هذا النص ؟ انه على وضوحه ليس فيه ما يدل على ما فهم الدكتور الفاضل الذي فاته امر اخر بالنسبة الى بني خالد ذلك ان هذه القبيلة في اخر القرن التاسع وفي القرن العاشر الهجري انشوى اليها كثير من القبائل الاخرى كما هو الشأن مع كل قبيلة تبسو على جانب من القوة ولايضاح هذا ينبغي ان نلاحظ ان بني عامر بن قيس عيلان الذين ترجع اليهم عشائر بني خالد في النسب ان بني عامر هؤلاء استولوا على حكم الاحساء من الدولة العيونية في اول القرن السابع الهجري . واستمر الحكم في يدهم حكما منهم ال ابي جواد ثم ال اجود الذين منهم ال جبر الذين عرفوا فيما بعد بالجبوري ثم بن بعدهم ال مغاسين ومن ال مغاسين ال الحكم ال ال حديد من بني خالد الذين هم من عتيل ابن عامر او اغلبهم ، كما قال شاعر الاحساء احمد ابن المشرف .

ولا نشس جمع الخالدي فانهم

قبائل شتى من عتيل بن عامر

ومن عادة العرب الانصواء تحت اسم العشيرة القوية ، والانساب اليها بمجرد القراية او الحلف او حتى الاتفاق في اسم الجد جهلا وهكذا الشأن بالنسبة لبني خالد فبعد ان كانوا عشيرة صغيرة من بني عامر متضوية تحت حيلة ال فضل في القرن الثامن الهجري اصبحت بعد قرنين من الزمن قبيلة كبيرة تنضم العشائر الاخرى من القبائل القريبة منها حتى اصبح المتنسبون الى بني خالد في القرن الحادي عشر الهجري منتشرين في نجد كلها في الدرج وفي الوشم وفي مسدير ، وفي القصيم ، فضلا عن سيطرتهم على القسم الشرقي من الجزيرة وهم مع ذلك في ذلك الوقت لا يدخلون تحت حكم الاحساء الذي تسيطر عليه قبيلته .

من هذا الايضاح الموجز يتبين ان ما ذكره العصامي المكي ونقله عنه المؤرخ ابن بشر لا يتعلق بحكام الاحساء،

وان كانت بلاد نجد في عهد قوة الدولة الجبرية التي تجتمع في التسبب مع بني خالد كانت تلك البلاد خاضعة لحكم أجود بن جبر بن زامل العقيلي الجابري ، ثم خضعت بعد ضعف ذلك الحكم لنفوذ أشرف مكة خضوعاً اسمياً .

من كل ما تقدم نرى ان الدكتور الفاضل حبل ذلك النص التاريخي من المعاني ما لا يحتل .

٥ - وقال الدكتور عن العثمانيين (٦) : (الذين افتتحوا الإحصاء فيها بعد بمساعدة قبائل المنتفق ، واقتابوا فيها حكما عثمانيًا ، بعد ان أزالوا عنها سلطة ال جبري وهم من قبيلة قيس) .

ان الدكتور الفاضل عول في هذا النص على « تاريخ ابن بشر » وقد أحال عليه ، ونصه : (في تمام الألف استولى الترك على بلد الإحصاء ، وانقرضت منه دولة ال أجود الجبري المابري وذويه) .

وعبارة ابن بشر هذه فيها غلط من ناحيتين : الناحية الأولى تاريخه استيلاء الأتراك بانه في تمام الألف ، والواقع انه قبل ذلك ، لانا نجد من آثار العثمانيين في الإحصاء ما يدل على ذلك ، ففي داخل الكوت في بلد الهوف مسجد يعرف بمسجد الدبس فيه حجر مكتوب فوقه بعد البسيلة : (الحمد لله رب العالمين) ، والسلام والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قد بنى هذا المقام ، في زمان السلطان المملوك ، سليمان بن السلطان سليم حشرة الحاكم الأجل - قوة الحكام كهف الأنام ، صاحب السيف والظلم - والتي بعد الإحصاء ، محمد باشا في سنة ثلاث وتلت وتلت وتلت وتلت هجرية) .

وهذا النص التاريخي يؤيد ما جاء في كتاب « أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث » (٧) من قوله : (ان الواضح في سجلات الحكومة على عهد سليمان ان استتبول كانت تدعى بتابعية الإحصاء لها ، كما ادعت بالحبشة ، ويذكر أولياء أفندي انه لم يكن هناك إقطاع وععبنا كان حكامها بدرجة بركريكي اصبحوا الان يحكمون بسيلة مطلقة ويرسلون الهدايا فقط الى حاكم بغداد وان كان شيوخ القطيف والبحرين قد رحبوا بالسلطان سليمان في سنة ١٥٣٤ فاتها ذلك بعيد على الخضوع الحقيقي وبالاختصار تقول : كان الادعاء بالإحصاء غير حقيقي ولا أساس له على الطريقة التركية ، ولم تدعمه التواريخ) .

وهذا القول له وجه من الصحة الا انه لا ينفي استيلاء العثمانيين على الإحصاء في ذلك العهد وان لم يبق للدولة نفسها فيه من النفوذ سوى الاسم وان بعض قوادها صار يحكم البلاد بدون الرجوع اليها .

الناحية الثانية من غلط عبارة ابن بشر القول بأن العثمانيين استولوا على الإحصاء بعد ان أزالوا

الجبريين والواقع ان الذي استولى عليها بعد الجبريين هم ال مغاسم فقد ذكر الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي في كتابه « درر الفرائد المنظمة » (٨) : (سلطان الشرق الشيخ راشد بن مغاسم بن صقر بن محمد بن فضل ، سلطان البصرة والحساء والقطيف حج في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، في ولاية الأمير ثم بن مغلباي على الحج في نحو خمسة آلاف نفس ، على رواحل ونزل الانبلاج ، وكانت ولاية على الشرق في عام احدى وثلاثين وتسعمائة ، فاستقل بالبصرة واستعان به بنو جبر لنفسه حالهم ، فتوى عليهم ، واخذ منهم الحساء والقطيف وأعبالها وذلك لما استولى الأعداء الفرنج المخفلون على بلادها ، وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، ثم وليها بعده عمه علي ابن أجود نحو شهر ، فأخذها منه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود فاقام ثلاث سنين وأعطاها بيعا لقطن بن علي بن هلال بن زامل ، فأقام فيها نحو سنة ، ثم بات خلفه ولده ، ثم عجز عنها ودفعها لغصيب بن زامل بن هلال بن زامل ، فأقام فيها نحواً من سبعة أشهر ، فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد ابن مغاسم صاحب الفرنجة ، وولي البصرة لأخيه محمد ، وأقام هو بالحساء والقطيف) .

وقد كان استيلاء ال مغاسم هؤلاء على الإحصاء بعد وقوع الشقاق بين أفراد الأسرة الجبرية ثم قتل الشيخ مقرن الجبري على يد البرتغاليين الذين اجتمعوا معهم في ذلك العهد ، قال ابن اياس في « بدائع الزهور » في الفوائد الشهر المحرم سنة ٩٢٨ هـ : (واشيع قتل الأمير مقرن أمير عرب بني جبر متبلك جزيرة البحرين الى بلاد هرمز الأعلى ، وكان أميراً جليل القدر ، معظمها بجبال في مسعة من المال وكان ملكي المذهب سيد عربان الشرق على الإطلاق ، وكان أتى الى مكة وحج في العام الماضي (٩٢٧) وكان يجلب الى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود القناري والحبر الملون وغير ذلك من الأشياء الثمينة قيل انه لما دخل الى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار فلما حج ورجع الى بلاده لاقته الافرنج في الطريق وتصاربت معه فاتكسر الأمير مقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروا فسألهم الامير يشترى نفسه منهم بألف دينار فأبوا فالفرج ذلك وقتلوه بين يديهم ولم يغن عنه ماله شيئاً .

وملكوا منه جزيرة البحرين وملكوا قلعتها التي هناك واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده ، وكان ذلك من أشد الحوادث في الاسلام وأعظمها وقد تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندي والأمير لله تعالى) .

وتجد بحثنا مفصلاً عن الدولة الجبرية في « مجلة

العرب» (٩) بما لا نحتاج معه الا الاطالة .

٦ - ويقول الدكتور : (١٠) « وكان الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ملكا دخیلا على المناذرة ولما وانت الظرف المنذر بن ماء السماء انتزع الملك من الحارث ومارد فلول جيشه من بكر وتقلب الى البادية والصحراء وهزمهم عند جبل اواره » .

ولقد رجعت الى ما بين يدي من المصادر العربية ، ككتاب « المناقب لابن عبيدة معمر بن المثنى وهو من اولى من كتب عن ايام العرب ، « ومعجم ما استعجم » للبكري « ومعجم البلدان » للحموي وتواريخ ابن جرير وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم ، فلم ار من ذكر ما ذكره الدكتور الفاضل ، لقد ذكرنا يومين جريا بقرب اواره ، هما :

١ - يوم اواره الاول ، وكان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وملخص ما جاء في « الكال » لابن الاثير (١١) ان المنذر سار الى بكر بن وائل وحلف ان ظفر بهم ليذبحهم على قلة جبل اواره حتى يبلغ الدم الحضيض فكان ان التقوا باواره فذبح من بكر بن وائل على الجبل فجعل الدم يجعد ، فقيل له لو ذهبت كل بكري على وجه الارض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء فتمل فسال الى الحضيض .

اليوم الثاني لاواره كان بين عمرو بن المنذر اللخمي وبين بني تميم ، فقد غزا بني دارم منهم وحلف ليقبض مئة فلما بلغ اواره بث سراياه فاجدهم بتسمية وتسمين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم واكمل الملة برجل من البراجم واليوم الاخير هو الذي ذكره البكري وياقوت الحموي مع خلاف في طريقة القتل .

اما القصة التي اشار اليها الدكتور فهي كما يظهر من كلام ابن الاثير وغيره لا صلة لها باواره ويحسن ان نورد كلام ابن الاثير بالنسبة قال :

(اعاد كسرى اتو شروان المنذر بن ماء السماء الى وية الحيرة ، وطلب الحارث بن عمرو - وكان بالانبار - وبها منزله - فغرب بأولاده وماله وهجائته وتبعه المنذر بالخيل ، من تغلب وايد وبهراء ، فلحق بارض كلب ، ففجا ، وانتهبوا ماله وهجائته ، واخذت تغلب ثمانية واربعين نفسا من بني اكل المرأ فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث ، فمقدوا بهم الى المنذر ، فقتلهم ... واقام الحارث ، في ديار كلب ، فترغم كلب انهم قتلوه وعلباء كذبة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيسا من الظباء فاعجزه ، فاقسم الا ياكل شيئا الا من كبده فظلمته انتقل ، فاتي به بعد ثلاثة ، وقد كاد يهلك جوعا ، فشوي له بطنه فاكل غلظة من كبده ، حارة ، نبات) (١٢) .

وقد يكون للدكتور من المصادر ما لم يشر اليه

عند ايراد ما اورده ، وهذا مما قد يؤخذ به المؤرخ حتى يبين مصدره .

وعلى ذكر اواره يحسن ان نشير اشارة موجزة الى ان تعريف ايام العرب (١٣) الذي اورده الدكتور ليس دقيقا ، فمن ايام العرب ما حدث بينهم وبين ملوك الحيرة التابعين لدولة الفرس وليسا من العرب .

ويحسن ان نصحح خطأ وقع فيه ياقوت وسار على منواله مؤرخنا الفاضل وهو ايراده بيت زهير بن ابي سلى شاهدا على اواره بهذا النص (١٥) :

عداوية هيهات منك ملهات

اذا ما هي احدثت بقدر اواره
وصواب البيت : اذا ما هي احدثت بقدر اواره
ذلك ان زهير اصف امرأة (عداوية) منسوبة الى عدي مزينة والنسبة اليه عداوي ، وهي نسبة نادرة ، كما ذكر ذلك « تاج العروس » وقد اورد البيت في مادة (آرة) وآرة هذا جبل لمزينة مجاور لجبل قدس والجبلان لا يزالان معروفين مع تحريف في اسم قدس حيث يسمى الان (اقدس) ويقعان جنوب المدينة ، وهذا الغلط اعني الخلط بين آرة وآواره قديم الا ان بعض المتأخرين نبه على ذلك ، ولا تقوت الاشارة الى ان ما اورده الدكتور من شعر الاعشى ، يؤيد ما ذكرته المصادر التاريخية التي اخصنا عنها ، ولا تتفق مع الدكتور في رأي (١٦) .

٧ - واورده الدكتور في كلامه على تصغير الاسماء القريين (١٧) نقلا عن المعجم لياقوت قرية بوادي عروات ويظهر ان هذا تطبيع فاسم (عروات) صوابه (عردات) بفتح الراء ويدال بعدها وهي اعلى وادي تربة في الحجاز ، ولا يزال معروفا .

٨ - حول ابن رزق
اكثر الدكتور الحديث عن احمد بن رزق الخالدي النجدية ولكنه ينسبه دائما الى الكويت (١٨) .
وهذه النسبة لها وجه من الصحة ، ولكن ينبغي ان نلاحظ ان ابن رزق هذا وان اقام في الكويت لفترة من الزمن الا انه اقام في غيرها اكثر من تلك المدة .

ويحسن قبل ان نتحدث عن ابن رزق ان نشير الى نقطة مهمة ماكان ينبغي اغفالها عند تدوين تاريخ الكويت، تلك ان اكثر الاسر الكويتية انتقلت من نجد ، في عصور مختلفة ، وامر اخر نقوله لا يدافع العاطفة ، ولكن تقريرا لحقيقة تاريخية يظهر انها خفيت على مؤرخ الكويت الدكتور ابو حاكم ، تلك هي ان نشوء الكويت ووجوده كاتبا قاطنين بين انتقال كثير من الاسر النجدية من نجد اليه ، في اوقات الجذب والفتح ، وقيام تلك الاسر باوجه مختلفة من نواحي النشاط العمراني ، يتنام مع الزمن الذي هاجروا فيه ، من امتهان حرفة (الفوس)

أو الاستغلال بالتجارة ، أو مزاولة أية حرفة من حرفة العبل ، وعلى هذا قام وجود الكويت ، بحيث أن كل باحث يستطيع أن يرجع كل أسرة من الأسر المعروفة فيه إلى أصلها النجدي ، باستثناء أسر قليلة معروفة ، كان قدومها إلى الكويت متأخرا في الزمن ، عن وقت نشوء تلك البلاد .

وبعد هذه المقدمة الموجزة يحسن أن نذكر طرفا من أخبار ابن رزق هذا .

فلما فيها تقدم أن قبيلة بني خالد كانت منتشرة في بلاد نجد ، وكان قسم منهم يقيم في إقليم سدير ، متحضرًا ، كما تقيم أقسام أخرى في مختلف أقاليم نجد ، ومن هؤلاء أسرة آل رزق ، التي كانت تقيم في بلدة (حرمة) من إقليم سدير ، ثم انتقلوا إلى بلدة (الفاظ) ويعرف قديما باسم (لفاظ) من إقليم سدير ، أيضا ، ومن هؤلاء : أحمد بن محمد بن حسين بن رزق — الذي ألف ابن سند له كتاب « سبائك المسجد » والذي عمر بلدة (الزيارة) بعد أن انتقل إليها من (البحرين) في حدود سنة ١٢٢١هـ — ثم انتقل منها إلى (تردلان) التي يفصل بينها وبين العشار في البصرة شط العرب ، حيث توفي هناك سنة ١٢٢٤ على ما ذكر المؤرخ ، الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٩) .

وقد اقام ابن رزق في الكويت فترة قصيرة ، ومما تقدم عنه منقول عن مؤرخي نجد ، وهم به عارف وهو لا يختلف مع الشواهد التي أوردها الدكتور أبو حاكمة ، كثيرا .

٩ — ويرى الدكتور (٢٠) : أنه كان من الأسر على المختصين في شؤون القبائل العربية وتحركاتها أن يحددوا الأماكن التي كانت تنزل بها تلك القبائل ، وكذلك الزمن الذي كانت تقضي فيه قبل حركتها من مكان إلى مكان .

وما قاله الدكتور ينطبق على الشق الثاني ، أما تحديد المنازل فانه من السهولة بمكان ، ذلك أن تحديد الأمكنة في الجزيرة قام أول ما قام على أساس تحديد منازل القبائل العربية ، ولما أراد واضعو معجمات الأمكنة تحديدها على الأساس الإيجدي لم يجدوا أمامهم — في أول الأمر — سوى وصف تلك الأماكن على أنها من بلاد بني فلان ، وما شاكل هذا من العبارات ، ونظرة في أي كتاب من المعجمات التي وصلت إلينا توضح لنا هذا بحيث يصبح من السهل الميسور حقا معرفة بلاد كل قبيلة من قبائل العرب داخل جزييرتهم باستقراء ما نقله مؤلفو المعجمات ، فضلا عن كون بعض الكتب التي الفت على الأساس القديم قد وصلت إلينا مثل كتاب « صفة جزيرة العرب » للبهدائي ، و « بلاد العرب » المنسوب إلى لفدة الأنصهاني ، وفيه قدر كبير مما روي عن الأصمعي .

١٠ — ونشأ عن عدم التعمق فيما سبقت الإشارة إليه من معرفة مواطن القبائل أن الدكتور عد من سكان (البحرين) حنيفة ، وأسد والمنفق وعزرة (٢١) وذلك في العهد الإسلامي ، اللحاق للمهد الجاهلي .

وهذا القول يحتاج إلى الوقوف عنده ، ذلك أن بني حنيفة تربطهم بعبد القيس — سكان الاطيم في صدر الاسلام — رابطلة النسب ، ولكن من المعروف أن الحنفيين تحضروا قبل الاسلام بزمن ، واستوطنوا بلادهم في طليح اليمامة فيما حول مدينة (حجر) قاعدة بلاد اليمامة ، ولم نر فيما بعد بني يدينا من النصوص ما يمكن الاعتداد عليه من أن تلك القبيلة ، أو بعض عشائرها أو أمخاذاها سكن البحرين في العهد الإسلامي الذي حدده الدكتور ، بخلاف قبيلة عنزة التي نجد لها ذكرا بنزلها في غرب البحرين في نواحي (تاج) (٢٢) غرب القطيف وعينين .

أما بنو أسد فيلادهم في الجاهلية وصدر الاسلام كانت تمتد من أعالي القصيم حيث يجاورون أسفل غطفان وجنوب بلاد طيء ، ثم تمتد منازلهم شرقا على طريق الحج الكوفي يجاورهم بنو تميم من الجنوب وينسب هليل من الشرق وبنو كلب وبعض طيء وغيرهم من الشمال ولا نجد فيما بين يدينا من المؤلفات ما يشير إلى أنهم كانوا يسكنون البحرين .

وعن المتنق وهم قسم من بني عامر الذين ملكوا الإحصاء في القرن السابع الهجري وما بعده ، إلا أن المعروف أن منازلهم في العراق ، وهذا لا يمنع اتصالهم ببني تميم في بلاد البحرين اتصالا لم يؤثر عنه استيطان دائم ، والقبيلتان اللتان سيطرتا من حيث الانتشار والكثرة في البحرين هما عبد القيس وتميم ، ثم بسيطرة العامريين انضوى تحت اسمهم أكثر العشائر التي كانت تقيم هناك ، فأصبحت معدودة منهم في الجوار ولنضرب مثلا على ذلك (العمور) من بني عبد القيس ولتكمهم الآن صاروا معدودين من بني خالد الذين كانوا في الأصل نخذا صغيرا من بني عامر ولا يتسع المجال لإيراد الأمثلة التي هي من هذا القبيل .

١١ — وقال الدكتور (٢٣) : (ولقد كانت البحرين في عهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية من أعمال العراق ، وكانت حدود البحرين الجنوبية انذاك عمان) . وهذا القول ليس على إطلاقه وتوضح ذلك فيما يلي :

١ — في عهد الخليفة أبي بكر : كان والي البحرين العلاء بن الحضرمي الذي ولاه الرضا صلى الله عليه وسلم تلك البلاد ، ويكاد يجع على هذا من اطلعنا على كتابهم من المؤرخين .

٢ — في عهد عمر : أبقي العلاء عمر العلاء على ولايته في أول عهده ،

ثم بعد ذلك عزله سنة ١٥ هـ وولى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص ، فولى عثمان أخاه الحكم على البحرين ، هذا على رأي ابن جرير أما خليفة بن خياط فيقول بأن عثمان كان واليا على عمان ، فاضيفت اليه البحرين فجعل أخاه الحكم واليا عليها .

وفي سنة ١٦ هـ عزل عمر عثمان وأعاد العلاء بن الحزمي على عمل عثمان ، ثم عزل العلاء وولى قدامة ابن مظمون ثم عزله ورد العلاء سنة ١٧ هـ ، إلا أنه عزله مرة ثالثة وأعاد عثمان بن أبي العاص على اليمامة والبحرين ، ثم عزل عثمان وتولى البحرين ولادة منهم أبو هريرة وعياش بن ثور ، هذا لمخمس ما ذكر خليفة بن خياط وابن جرير وهما من أقدم المؤرخين ، ومن ذلك يتضح أن البحرين كان في أول عهد عمر مستقلا بوال ثم أضيف إلى اليمامة في ولاية العلاء وعثمان وأبي هريرة .

٣ - في عهد عثمان :

ولى عثمان عبدالله بن عامر بن كريز القرشي البصرة وأضاف البحرين اليه فيها أضاف من البلاد الواقعة شرق المملكة الإسلامية ، فولى عبدالله رجلا يدعى عبدالله بن سوار العبدي ، وهذا أول عهد أضيفت فيه ولاية البحرين إلى البصرة ، ويذكر خليفة أن مروان بن الحكم كان من ولاية البحرين لعثمان من قبل عبدالله بن عامر أيضا .

٤ - في عهد علي :

ولى علي البحرين عمر بن سلمة مدقة ، ثم في آخر عهده ولاها عبدالله بن عباس هي وما يليها من البحرين ومخاليها على ما ذكر ابن جرير في حوادث سنة ٤٠ هـ من الهجرة ، ويظهر أن عبدالله بن عباس ولى عليها واليا من قبله لئلا نجد خليفة حينها يذكر ولاتها في عهد علي يقول عمر بن أبي سلمة وقدامة بن المجلان والنعمان بن المجلان .

ومما تقدم يتضح أن البحرين لم تكن تابعة للعراق إلا في عهد عثمان حينما ولى قريبه الأمير القوي عبدالله ابن عامر بن كريز وأن تلك البلاد في غير عهد عثمان كانت ترتبط ولايتها بالخليفة آونة وتضاف إلى اليمامة أخرى وإلى العراق (البصرة) ثالثة ، وذلك فيها يظهر لا يرجع إلى اعتبارات ادارية أكثر من رجوعه إلى منزلة الوالي الذي تضاف اليه عدة ولايات عند الخليفة كما هو الحال في عبيد الله ابن عباس بن عم الخليفة علي وعبدالله بن عامر بن عم الخليفة عثمان .

أما في عهد بني أمية فإن الحال لم يختلف كثيرا عما كانت في عهد الخلفاء الراشدين يوضح هذا ما يلي :

١ - في عهد معاوية :

كان زياد بن أبي سفيان هو الوالي على شرق المملكة العراق وخراسان وسجستان ، وقد أصبحت

البحرين بحكم سعة نفوذه تابعة له على ما ذكر ابن جرير ولا تعرف أحدا من ولاتها بعد ذلك إلا في عهد :

٢ - عبد الملك بن مروان :

وقد تولاهما في هذا العهد تسعة ولاه جلهم ان لم يكن كلهم من قبل الحجاج والي العراق وهم عمر بن عبيدالله بن أسيد بن الأحنس بن شريق الثقفي ، سنان ابن سلمة ، موسى بن سنان ، زياد بن الربيع الحارثي ، محمد بن مصعبه وقد ولى مكانه عبد الملك بن عبد الله ابن أبي رجا ، قطن بن زياد بن الربيع الحارثي .

٣ - وفي عهد الوليد بن عبد الملك :

والى اليمامة هو قطن بن زياد بن ربيع الذي ولى من قبل الحجاج .

٤ - سليمان بن عبد الملك :

ضمت البحرين في عهده إلى يزيد بن المهلب والي العراق أيضا فولاهما الأشعث بن عبيد الله بن الجارود .

٥ - عمر بن عبد العزيز :

جعلت البحرين تابعة لولاية السند الذي يتولاه عدي ابن أرطاة فولى على البحرين الصلت بن حريث وعبد الكريم بن المغيرة .

٦ - في عهد يزيد بن عبد الملك :

ضمت البحرين إلى اليمامة ، وكان واليها في ذلك العهد من أشهر ولاه بني أمية وهو إبراهيم بن عربي .

٧ - هشام بن عبد الملك :

في عهده كانت البحرين تابعة لولاية السند أيضا ومن ولاتها في ذلك العهد : محمد بن زياد بن جرير بن عبدالله وعمر بن أسيد بن سعيد ، ويحيى بن اسماعيل ، ويحيى ابن زياد ، وعبدالله بن شريك ، ومحمد بن حسان بن سعد الأسدي .

٨ - الوليد :

في عهده كان والي البحرين بشر بن سلام من قبل والي سجستان .

هذه خلاصة ما ذكره خليفة بن خياط عن ولاية البحرين ، وهو أوفى المؤرخين ، وأقدم من وصل إلينا كلامهم عن ولاية البحرين (٢٤) .

من كل ما تقدم يتضح ما في عبارة الدكتور عن ولاية البحرين من الإطلاق ، بحيث أصبحت ضمنية .

١٢ - ونقل الدكتور (٢٥) عن ياقوت قوله : فلما ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحدا .

وأقول ليس هذا القول على إطلاقه ، فقد كانت اليمامة في ذلك العهد وخاصة في أوله تضاف إلى ولاية مكة بينما ولاية البحرين كانت تضاف إلى ولاية العراق ، ويستدعي الموضوع تطويلا ولكننا نحيل القارئ إلى بحث عن ولاية اليمامة نشرت مجلة « العرب » (٢٦) ،

أما عن البحرين ، فإثنا حينما نستعرض ولاتها في العهد العباسي نجد :

١ - في عهد السفاح :

تولاه المسيح بن الحواري بن زياد وعبدالله بن سليمان بن المنذر بن الجارود وعمر بن حفص هزار مرد ، ويظهر أن هؤلاء تابعون لوالي البصرة .

٢ - في عهد المنصور :

ولاهنا عبد ربه بن شريك ، ونافع بن عقبة ويزيد ابن عبدالله الهلالي .

وفيه من كلام ابن جرير في حوادث سنة ١٥١ أن ولاية البحرين كانت تابعة للبصرة .

٣ - في عهد المهدي :

كانت البحرين تابعة لوالي البصرة جعفر بن سليمان فولى عليها سعيد بن دعلج ، فبعث ابنه ثميما على ما ذكر ابن جرير في حوادث سنة ١٥٧ .

٤ - خلفاء اخرون :

لا تسفنا المصادر بعطومات مرتبة عن ولاية البحرين حسب ترتيبهم ، وكل ما نجد هو :

١ - في سنة ١٦٠هـ الى ١٦٣هـ يذكر ابن جرير أن محمدا بن سليمان كان هو والي دجلة والبحرين وعمان والاهواز وفارس .

٢ - وفي سنة ٢٣١هـ يذكر ابن جرير أيضا أنه عقد في دار الخلافة لاسحاق بن ابراهيم بن أبي حنيفة ومولى بني تميم من أهل أصاخ من نجد على التتابة والبحرين وطريق مكة من جهة البصرة .

٣ - ويذكر ابن جرير أيضا من الخلفاء سنة ٢٣١هـ أنه عقد لمحمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مصعب بن زريق على اليمامة والبحرين .

ثم تقف المصادر فجأة ولا تسعفنا بشيء ذي أهمية سوى أخبار ثورة صاحب الزنج ، وثورة القرامطة في البحرين ، وأن ذكرت شيئاً قبل ذلك ، فهو يدل على عدم اهتمام الخلفاء العباسيين بشأن البحرين ، ومن ذلك ما أورده ابن جرير في حوادث سنة ٢٤٥هـ من أنها أصبحت مئني في ذلك العهد لمن يغضب عليه الخليفة ، فقد أورد ما هذا نكس : (وفيها غضب المتوكل على بختيشوع وقبض ماله ونفاه الى البحرين) فقال اعرابي : يا سخطه جاءت على مقدار

ثار له الليث على اقتدار

منه وبختيشوع في اغتدار

لما سعى بالسادة الاقمار

بالامراء القادة الابرار

وبالموالي وبني عهد السيد المختار

رعى به في موطن القطار

بساحل البحرين للصغار

ومما يدل على عدم اهتمام الدولة العباسية في آخر عهدها بالبحرين انها أصبحت تكل أمرها الى من ليس أهلا لولايتها ، من البصرة وأمثالهم ، فقد أورد ابن جرير في حوادث سنة ٢٤٧هـ من مروان بن أبي الجنوب الشاعر أنه قال انتشدت أمير المؤمنين (يعني المتوكل) فيه شعرا فعتد لي على البحرين واليمامة وخلع علي أربع خلع ثم ذكر شيئا من شعره ومن أخباره مما لا تحليل يذكره .

١٣ - ويتحدث الدكتور (٢٧) عن انتساب آل صباح وآل خليفة وغيرها من بني عقبة الى بطون عنزة ، وأنهم كانوا في الأصل ينزلون البدار من الانلاج ثم يحاول تحديد زمن هجرتهم قائلًا : (ربما كانت جزءا من هجرة عنزة الكبرى التي تمت في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حينما هاجرت عنزة وغيرها من القبائل شرقي الجزيرة بسبب القحط من مئارلها) .

وقبل أن نذكر ملاحظتنا يحسن أن نحدد السنة التي حصل فيها القحط والتي اشار اليها الدكتور ، هذا القحط يسمى عند مؤرخي نجد (وقت سمدان) ويشير اليه ابن بشر في سابعة سنة ١١١٤ قائلًا : وفي هذه السنة أولا وقت سمدان المحل المعروف والقحط والغلاء الذي سدد فيه أهل الحجاز وكثير من البوادي) . ويقول في سوابق سنة ١١١٥ : (وفيها اشتد المحل والغلاء ، وهكذا أكثر منهم وبعض أهل الحجاز) . وتحديد ابن بشر وغيره له يوافق آخر القرن السابع عشر الميلادي وابن عيسى يشير اليه في حوادث سنة ١١١٤ قائلًا : وفي هذه السنة هي أول القحط والبلاء العظيم المسمى سمدان ، سدد فيه أهل الحجاز وأكثر البوادي ، ويذكر مثل هذا في سنتي ١١١٥ و ١١١٧هـ كما يشير ابن بشر في حوادث سنة ١١١٦ و ١١١٨ الى انتشار قبائل عنزة في وسط نجد وفي الدنهان . ويذكر ابن بشر وابن عيسى وغيرهما من مؤرخي نجد قحطاً آخر وقع سنة ١١٣٦هـ مشيرين فيه الى قبيلة عنزة ، فيقول ابن بشر : (وفي هذه السنة والي تليها ثلثت بوادي حرب والعمارات من عنزة وثلث جللة بوادي بني خالد وغيرهم وكان الامر فيه كما قال بعض ادباء أهل سدير :

غدا الناس اثلاثا فثلت شديدة

يلاي صليب البين عار وجائع
وثث الى بطن الثرى ثفن ميت
ولث الى الارفاف جال وناجع

ولكن ينبغي أن نلاحظ أن ذلك القحط الذي اشار اليه الدكتور فيها لو جعلناه مبدأ عهد انتقال المتوكل الى الشرق فانه لا يتفق مع كثير من الحوادث التي اشار اليها ونسبها اليهم فيها بعد ، وهذا قد يقال فيه ان هجرة القبائل من عنزة التي يحاول الدكتور أن يربط بينها وبين

انتقال العتوب الى الشرق كانت قبل ذلك العهد ، غير ان الامة من هذا هو :

١ - لم يعرف ان قبيلة عنزة سكنت الهدار الواقع في جنوب جبل العارض ، اقليم الانلاج فسكان تلك الجهة في صدر الاسلام وبعدهم بنو جعدة وبنو قشير وغيرها من قبائل عابر بن فصصة بن مياوية ، ثم بعد ذلك هاجرت قبائل من جرم من قضاة من اليمن فانتشرت في وادي الواسر وفي الانلاج ، ووصل بعضها الى الفرع في وادي برك ووادي نعمان وهذان الواديان يقعان شمال الانلاج ، وكان يقطن في تلك النواحي بنو هزام وهم من عنزة فخلطوهم ونزل قسم من جرم في الانلاج ، ولبنى جرم هؤلاء ابناء عمومة من تغلب قضاة لا تغلب وال ، وقد انتسب قسم كبير من يسكن تلك الجهات الى تغلب فيها بعد ولشهرة تغلب الوائليسة العدنانية ولكن البلاد في اول الامر للعدنانيين ولجهم تغلب القحطانية ، وجد من يقول من النسبانيين المتأخرين بنسبة هؤلاء الى تغلب العدنانية . ويوجد من المتأخرين من شيوخ اهل البحرين من يرجع نسب بني عتبة الى تغلب ثم الى عنزة (٢٨) وهذا من قبيل تداخل الانساب بسبب تشابه الاسماء وهو امر قديم عند العرب ولا ننيل بذكر الشواهد بل نحيل القاري الى ما ذكره البغدادي في « صفة جزيرة العرب » في الكلام على منازل بني جعدة .

٢ - من المعروف ان العتوب انتقلوا من الهدار في الانلاج بعد ان تحضروا اذ وادي الهدار ذو شري وزراعة ونسبتهم اليه يدل على انهم كانوا من القبائل فيه اقامة استيطان لا بدواة فلماذا تربط بين انتقالهم منه وانتقال بعض عشائر عنزة من البادية ؟ وهذا مما لا يستطيع المورخ الحكم به ما لم يجد اساسا يستند اليه .

٣ - ان انتساب آل صباح وآل خليفة الى عنزة يظهر انه جاء في عهد متأخر جدا وذلك بعد ان اصبحت الدولة السعودية قوية ورجالها ينتسبون الى عنزة ، وهذا لا ينبغي ان هناك فخذ من عنزة يدعى الجبيلات وفيه المثل : (رجم الجبيلات في فرسهم) كما توجد قصص متوافقة في جهات الانلاج عن (آل جبيلة) غير ان كل ذلك لا يحل على الجزم بان العتوب من قبيلة عنزة وهذا لا ينعكس القول بانهم عرب اقحاج صريحو النسب ، ولكن القضايا التاريخية تحتاج الى اساس تعتمد عليه .

١٤ - ويتحدث الدكتور (٢٩) : من الشيخ ابن فيروز اول قصة الكويت ولكنه يخطئ حينما يخطئ الشيخين عبد العزيز الرشيد ويوسف القناعي في تحديد وفاة ابن فيروز بسنة ١١٣٥هـ ، ويعتد على رأي ابن سند في انه توفي سنة ١٢١٦هـ الدكتور الفاضل خلط بين شيخين يطلق عليهما اسم واحد وينسبان لجد واحد ونوضح هذا بان آل فيروز وهم من الوهبة من اهل اشتر

من اقارب الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — عرف منهم ثلاثة بالعلم كل واحد يدعى ابن فيروز وهم :

١ - الشيخ محمد بن فيروز المتوفى سنة ١١٣٥هـ وهو الذي اشار اليه المؤرخان الكويتيان .

٢ - الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن فيروز ولد سنة ١١٧٢هـ وتوفي سنة ١٢٠٣هـ وهذا من العلماء المعروفين ، وله حاشية على كتاب « زاد المستقنع » معروفة مات قبل اكملها ، ويخذا عليها نجد عدة في بعض المسائل الفقهية على مذهب الحنابلة .

٣ - محمد بن عبدالله بن فيروز المتوفى سنة ١٢١٦هـ وهذا من شرق بالدعوة السلفية التي قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب مع ما بينها من القرابة وهذا هو صاحب القصيدة الطائفة التي يمدح فيها ثويني المقتول سنة ١٢١٣هـ والتي رد عليها الشيخ حسين بن غننام في تاريخه وهي معروفة والرد موجود في « تاريخي ابن غننام وابن بشر » نسخة المتحف البريطاني التي هي من مصادر الدكتور .

١٥ - ويورد الدكتور ابو حاكم (٣٠) كلاما طويلا عن وفاة الامير عبدالله بن صباح مما يدل على حيرته في تحديد زمن وفاته مع ان المؤرخ النجدي ابن بشر في كتابه « عنوان المجد » قد حدد به واليوم وبالشرق ، فقد ذكر ان سعودا توفي ليلة الاثنين ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩هـ ثم ذكر انه بعد وفاة سعود هذا بثلاثة ايام توفي رئيس الكويت عبدالله بن صباح اي في يوم الجمعة ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩هـ واذا فلا داعي للاستجداد بوقوع اشتراك الهند الشرقية ولا بغيرها من المصادر الانجليزية ، ويظهر ان الدكتور لم يطلع على نص ابن بشر الا متأخرا حيث اشار اليه (ص ٢٢٨) حيث حدد سنة وفاته في عام ١٨١٥هـ بينما نلبي يؤرخها بسنة ١٨١٤م في شهر مايو وهو تاريخ ادق من تاريخ الدكتور (٣١) .

١٦ - ويقرر الدكتور اعتيادا على ما ذكره السائح الازبوي (نيبور Niebhur) (٣٢) ان بني كعب يرجعون في اصلهم الى نجد ، كان نجدا اصل من كعب العرب وليس مهد العرب كلهم وموطنهم وعلى ما في هذا التعبير فهو خطأ من حيث تحديد انتقال بني كعب الى شمال الخليج في القرن السابع عشر . ولئن فأت السائح الغربي التعمق في البحث في هذا الموضوع ، فان الدكتور وهو يؤرخ امته ويلاذه كان يجب عليه الا يفتوه لان اصدار الاحكام بدون مستند تاريخي كان من الامور التي ذكر الدكتور في مقدمة كتابه انه سيحاول البعد عنها حينما وصف كل المؤلفات التي الفت عن الكويت بكونها تصدر للتجاذب بدون ان تبنيها على اساس حقيقي من المصادر التاريخية .

ان انتقال بني كعب الى تلك الجهات حدث في

صدر الإسلام فقد انتشروا فيها وقاموا بحركات قوية ،
وأسسوا دويلات عاشت حقبة من الزمن ، ولا يتسع
الجال للتفصيل في هذا الموضوع وتكفي الإشارة إلى أن
الدولة التي قامت في الإحصاء منذ القرن السابع الهجري
إلى العاشر هي من بني كعب ، وأن الدولة التي قامت
في الموصل وحلب في أواسط المئة الخامسة منهم أيضا .

وأنه كان لبني كعب هؤلاء نشاط كبير في جهات
العراق ، في عهد الخليفة المستضيء أشار ابن خلدون
وغيره إلى أطرافه منه (٣٣) .

لقد كان بنو كعب هؤلاء من أقوى القبائل العربية
وأكثرها غرورا فمنهم بنو عقيل الذين سيطروا على
حركة التجارة في شمال الجزيرة بحيث أصبح يطلق اسم
(عقيلي) فيها بعد على التجار حقبة من الزمن ، ومن
عقيل هؤلاء آل أجود الذين ملكوا الإحصاء ، ومنهم أيضا
بنو خالد الذين كثر حديث الدكتور أبو حاكمة عنهم في
كتابه ومنهم بنو خفاجة الذين كانت لهم صولة وسيطرة
في جنوب العراق .

والجهل بأصول القبائل وفروعها هو الذي حبل
السائح الغربي نيبور على أن يقول خطأ قلده غيبه
استاذنا الكبير أبو حاكمة .

وإذا كان لا بد من معرفة زمن انتقال بني كعب إلى
تلك الجهات فإن هذا يستلزم دراسة وافية عن القبيلة
من حيث أصلها وفروعها الكثيرة المنتشرة ، وهذا ما
بالرجوع إلى المصادر العربية التي عيّنت بهذه الناحية
بدون الاكتفاء بإشارة موجزة يوردها سائح اجنبي يجفل
العرب وأصولهم وبلادهم . ويكتفي باللفظة المأبوسة
بسمها من جاهل غيبي عليها ما يبني مما يعتبر فيها بعد
في نظر غير المتعمقين حقائق . ومعاذ الله أن نسم استاذنا
الدكتور أبا حاكمة بعدم التعمق ولكننا نأخذ عليه أنه في
دراساته عن قبائل عربية وبلاد عربية لجوءه إلى مصادر
اخرجية فكما لا يسوغ لنا حيننا ندرس حياة أمة من
الأمم التي تعيش بعيدة عن بلادنا من رحالة عربي منا
أبى وقتنا قصيرا في بلاد تلك الأمة ، فكذلك لا يسوغ
لنا أن نلقى معلومات بلادنا وسكانها من غير أهلها
وخاصة فيها ينفرد به هؤلاء عما يدونه مؤرخونا من هم
أوتى بحياتنا وأعرف ببلادنا وبسكانها من غيرهم .

اننا نقول هذا لأننا ننظر إلى آراء الدكتور أبي
حاكمة بثورة تتلازم مع قيمته العلمية ، ومع ما نراه
لؤلؤه هذا ، من مكانة في قلوبنا ، وما نعتقد بأن قراء
العرب سينظرون إليه ، وأن كنا ندرك أن له من مسو
المكانة العلمية ما يرفع عنه مقام التخطئة أو مجانفة
النصواب .

- (١) : « دوحة الوزراء » ص ٢٠٤ وما بعدها .
- (٢) : ص ٢٩ .
- (٣) : ص ٧٩ .
- (٤) : ص ٨١ .
- (٥) : ص ٧٥ .
- (٦) : ص ٧٥ .
- (٧) : ص ٣٦ حاشية .

(٨) نسخة دار الكتب المصرية ص ٣٢٦ (الرقم ٩٢٦ تاريخ نيبور)
وهذا النص غير موجود في المطبوعة إذ هي ناقصة .

- (٩) ص ٦٠١ — ٦١٠ (السنة الأولى) .
- (١٠) : ص ٩١ .
- (١١) : ج ١ ص ٥٥٢ .
- (١٢) : « الكامل » ج ١ ص ٥١٢ .
- (١٣) : ص ٩١ حاشية .
- (١٤) : ص ٩١ حاشية .
- (١٥) : ص ٩١ حاشية : شعر الأعشى ، فارجع إليه .
- (١٦) : ص ٩٩ حاشية .
- (١٧) : ص ٢٠ و ١٠٠ حاشية .
- (١٨) : « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٢٢ — وفي كتاب
« تاريخ نظر العام » للمعيد محمد بهجة سنان ص ٦٣ أنه توفي
حوالي سنة ١٢٢١ — ولكن ابن عيسى أوتى .

- (١٩) : ص ٩٢ .
- (٢٠) : ص ٩٢ .
- (٢١) : « معجم البلدان » مادة (ربيعة لقمان) وهو منقول عن
« التاريخ » ص ٩٢ .
- (٢٢) : « تاريخ نيبور » ص ٩٢ .
- (٢٣) : « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٢٢ — وفي كتاب
« تاريخ نظر العام » للمعيد محمد بهجة سنان ص ٦٣ أنه توفي
حوالي سنة ١٢٢١ — ولكن ابن عيسى أوتى .
- (٢٤) : « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٢٢ — وفي كتاب
« تاريخ نظر العام » للمعيد محمد بهجة سنان ص ٦٣ أنه توفي
حوالي سنة ١٢٢١ — ولكن ابن عيسى أوتى .
- (٢٥) : ص ٩٢ .
- (٢٦) : ص ٢٧٦ إلى ٢٨٢ المجلد الأول .
- (٢٧) : ص ١٠٢ و ١٠٣ .
- (٢٨) : « تاريخ الكويت » للشعلان .
- (٢٩) : ص ١١٨ .
- (٣٠) : ص ١١٩ و ١٢٠ .
- (٣١) : Saudi Arabia - p: 127
- (٣٢) : ص ١٢٥ و ١٢٨ .
- (٣٣) : « تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٠٨٦ طبعة بيروت » .



بم التعلل لا اهل ولا وطن
ولا نديم ولا كاس ولا سكين
سهرت بعد رجلي وحشة لكم
ثم استمر ميري وارعوى الوسن
— ابو الطيب المتنبي —

في الرعبيل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

شعر
عبد الزهرة الديراوي

— ١ —

تهدج صوتك فوق الرفوف .. ،
ومن خوف نفسي عليك ،

— فزعت

فلم تسع الريح ساقي والامكنه
وكان خيالي .. ،
شهيدا تضرج بالآتريه

* * *

— ٢ —

ارتني السماوات وجهك في رفعات السحاب
وفي لمان السكاكين .. ،
اجسست ان يدا من ورا الفيب تقفني ،
بدياجر اجهلها ، وبدا سحبتني فكان دمي ،
بركة جاورتها القفار بغزلانها ، واستراح
بصورنها طائر ، راشقا جيتهي المستبابة ،
بويلاته ...

وهواسم هجرته

تنور بك الارضين .. ،
تري شيم الذؤبان ... ارتعادة اجسادهم ،
اواخر قتالك الجائرين

هو الصخر ، كان الخيول
وكان اليماني تحت لسانني
(اعتقلت)

الي السجن ، والاتهام بذنوب جناه ولاتك
او حاجبي المؤتمن
وكننت المخير ما بين ارضك والارتحال
تسكعت والطرقات

رقصت مع الريح دوراتها .. ،
دخت ، والطرقات رماح
... احاصر .. ،

مارست كل التشاطات ،

قالوا : شقيا تملل للصدقات
ويجؤني البرق ، يسقط ظلي
راوك خيالا من الامسي مات

* * *

وتدور الكواكب ، تحصى المنازل — والسفاه
أما من بلاد تملع الفريب المضاجع احلامه .. ،
والاسرة مبلولة بالدهان .. ،
الاسرة في الطرقات ، المصابب ... وحدي بيت الليالي
نديمي التضرع والحزن .. ،
يا لكاتبه نفسي

على الآه .. ،
والآف تمتصني كسواد الرجاجة يقتل خيط الضياء
ويقتي الظلم ...
فمن قدرني يزيد البحر .. والأرض تنبت .. رغم امتثالي
« فيا سيدي المتنبى »
أنا بعض عزمك ... أتبيك عن قدر عزمك
وانك في « اللانقية » تنشدك الخيل والليل والبيد .. ،
حتى تعودت أن تستريح الخوات
واني تعودت في « الفالجية » أن اشحن القاطرات
« فيا سيدي المتنبى »
أنا بعض همك أو كل همك أو من
تجاوز همك ... رغم امتثالي
واني اجأرتف ... ،
بين السكون وبين ارتحالي



— ٣ —

على حافة النهر اجلس .. ،
في خيمة الجبد جالسك الحور .. ،
نافورة التصب رشت ثيابي بماء خفيف ،
التوارخ اجعل احداثها ، وانحدرت الى النهر مثل .. ،
المخدر اعوامه لم تزل حلما .. ،
مر بي في المساء عصاة الميلاد التي أورثني العويل
— اراحوا الخيول ..
أتوني خفافا ... وتاتي الفشاوة عيني
ابصرهم ، واحدا

واحدا

دخلوا خيمتي

جعلوا من قميصي قرابا لاسياغهم
واني ترجمت من ظمائي

* * *

— ٤ —

بعيدا
بعيدا ، وراء الخيال
بعيدا ، وراء معادلة الجاذبية يا كرة الأرض كنت
ومثل ارتخاء الوريقات تحت المطر
تبوات والفكريات المبررة تتداح في خلدي ...
« ليس يولعني الوجد » ... والنار في الحياة
سهرت الليالي الطويلات ... ،
بعد رحيلك ... بعد رحيلي
— الشهاده أن تقضي العمر دون بلاد تحب
حمايتها البيض حولك

— فيا اخت مولى الفوارس اياك وحشة هذا الزمان
أنا يا حبيبة بخجلني أن أقول التوجع .. ،
بي كبرياء الشوارع والفندق المتعفن ،
بالسادة الزلاء ... ،
ولم انتقص السريرة .. ، من كاهل الشوق ،
يا ظبية جن قلبي بها ،

كفها فوق رأسي
وراسي على راحتي
وعلى المسقف هر يموء
ومن وحشني للرحيل — جنون
بياض النهار — سواد
اصابعها فوق رأسي
اصابعها معول .. ،

والمبائل جدولها ، ماء كفي

* * *

— ٥ —

اراك — الفريب افترشت العبادة .. ،
تحصي الحصى .. ،

مقدمة الدواوين

الدكتور
يوسف نوفل

ARCHIVE

١ - مقدمة الشاعر لديوانه

وإذا لا يكتفى الشاعر بكتابة مقدمة لديوانه ، فغرد كتابا للحديث عن تجربته في الشعر وممارسته إياه ، فغرحب مجاله ، وتتسع الصفحات بين يديه ليقدّم للباحثين خلاصة موقفه ونظرة الى الشعر ، وأبعاد تجاربه الفنية به ، من ذلك ما كتبه صلاح عبد الصبور في كتابه (حياتي في الشعر) ، وفي (وتبقى الكلمة) ، وكذلك ما صنعه عبد الوهاب البياتي في كتابه (تجربتي الشعرية) ١٩٦٨ - بيروت .

أما كتابة الشاعر مقدمة ديوانه ، فأمثلته عديدة منها : شوقي في ديوانه الاول ، و خليل مطران في ديوانه ومصطفى صادق الرافعي في ديوانه ، والمعتاد في مقدمات دواوينه كلها (١) ، وعبد الرحمن شكري ، ومحمد مصطفى الماحي في ديوانه ، ومحمد الاسمر في ديوانه ، والقروي في الاعاصير (١٩٦٢) ، وعلي الجارم في ديوانه ، والدكتور عبد القادر القط في ديوانه ذكريات شباب ، ومحمود حسن اسماعيل في ديوانه أين المفر ؟ (ط ١ ١٩٤٧) وهي مقدمة رائعة ، وقاب قوسين ، ومقدمة الياس ابو شبكة لقصيدته « غلواء » (١٩٤٥) التي كتبها بين ١٩٢٦ - ١٩٣٢ وكذلك مقدمته لاماعي

١ - المقدمة النثرية :

تقوم المقدمة من الديوان - كما هي من غيره - مقام النافذة او المدخل الى العمل الادبي ، فهي من هنا ذات مكانة فنية بما تتضمنه من تحديد منهج الشاعر ومنحاه ومدرسته واتجاهه ، كما تعين الدارس في فهم الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والفكرية المحيطة بالشاعر ومدرسته او المهددة له كما تعين في فهم النص بما تقدمه من تفسيرات داخلية قد تزيل غموضا حول قصيدة ، او قد تشرح بعض مدلولاتها ، فضلا عما تتضمنه المقدمة من حديث عن معاناة الإبداع الفني، وعن طريقة الشاعر في التأليف ، ونظرة الى وسائله الفنية ، وغير ذلك مما يربط بين الشاعر وعمله ، وهي أمور نهم كثيرا دارسي الادب ونقاده وتسدد خطاهم وتوجههم الى ادق النتائج العلمية واوثقها .

من هنا نستطيع ان نصف هذه المقدمات التي نوعين ، أحدها ما كتبه الشاعر لديوانه او لقصيدته نثرا ، والاخر ما كتبه غيره له ، وكلاهما يعد مرجعا من مراجع الدراسات الادبية تفقّر اليه البحوث وتستعين به ، كما يسهم في توجيه الحركة الادبية ويؤرخ لها في الوقت نفسه .

الفردوس (١٩٣٨) ، حيث بين موقعه في الأولى ، ويعرف بالشعر في الثانية ، وفوزي العنيل في مقدمة الطبعة الثانية من عبر الأرض (١٩٧٥) ، وأحمد زكي أبو شادي في دواوينه : أطياب الربيع (١٩٣٣) ، وفوق العباب (١٩٣٥) ، ومن النساء (١٩٤٩) وفيها آراء نقدية قيمة عن الشعر والتجديد فيه ، وإيليا أبو ماضي في الجدال بعنوان (الفاتحة) - ص ٤ - ١٩٢٧ - نيويورك .

والعامل المشترك بين تلك المقدمات هو انصاحها عن منهج الشاعر واتجاهه ... يقول خليل مطران : « عدت اليه (أي الشعر) وقد نضج الفكر ، واستقلت لي طريقة في كيف ينبغي أن يكون الشعر - فشرعت أنظمه لترضية نفسي حين انخلى أو لتربية قومي في الحوادث الجلى ، متأبها عرب الجاهلية ، في مجارة الضمير على هواه ، ومراعاة الوجدان على مشهته ، موافقا زمني فيما يقتضيه من الجراة على الانفاظ والتراكيب ، لا أخشى استخدامها أحيانا على غير المؤلفين من الاستعارات ، والمطروق من الأساليب ، وذلك مع الاحتفاظ بأصول اللغة وعدم التفريط في شيء منها إلى فائتي علمه أو تجاوز ادراكي فهمه » . ويقول مينا لهم ما تمتاز به التمثال الحديثة وهو تحقق الوحدة العضوية وهو نص بالغ الأهمية في حركة النقد الحديث :

« هذا شعر ليس ناطقه بعيدة ، ولا تجاوزه ضرورات الوزن والغنائية على غير قصيدة » . يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصحح ولا ينظر قائله إلى أن جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره وشاتم أخاه ، ودابر المطلع وقاطع المقطع ، وخالف الختام ، بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه ، وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي تناسق معانيها وتوافيقها » .

وبين مجالات التجديد لديه ودوافعها ومظاهرها . يقول :

« ولم أكن مبتكرا فيها صنعت ، فقد فعل فصحاء العرب قبلي ما لا يقاس اليه فعلي ، فأنهم توسعوا في مذاهب البيان توسع الرشيد والحزم ، وجسارته في تصريف الكلام على ما اقتضاه هذا العهد من أساليب النظم » .

ويقف في وجه معارضيه قائلا :

« قال بعض الثعنتين الجامدين من المتطلسيين الناقدين ، أن هذا « شعر عصري » ، وهو بالإنشام توهام أن من يوارق أسرته ما يكون أشد من وقع السهام . فيها هؤلاء . نعم ، هذا « شعر عصري » ، وفخره أنه عصري ، وله على سابق شعره مزية زمانه على سالف الدهر » .

ويقول الرامسي في مقدمة الجزء الأول من ديوانه : « فالشعراء كالمصاييح ما على أحدها أن يتلقى بنور غيره ما دام في كل مصباح زينه » .

ويقول : « أن التفاضل إنما يكون في ابتكار الأشياء على طريقة الشعر لا على طريقة النظم » . ويأخذ على بعض الشعراء ضعفهم واعتقادهم على ما يترجمون وخروجهم بالشعر عن معناه مما يفقده عنصر التأثير ، ويجعله متكلفا مستكبرا .

ويشرح منهجه البياني ويرى أن البيان « بقية من منطق اختيارنا في زاوية من النفس ، فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك الحانا بغير إيقاع » . ويتحدث عن الشعر قائلا :

« وأول الشعر اجتماع أسبابه ، وإنما يرجع في ذلك إلى طبع مسئلة الحكيم وفكر جلا صفحته البيان ، فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب وسفر النفس إذا ناجت النفس ، ولا خير في لسان غير بسين ولا في سفر غير حكيم » .

ويرى عباس محمود العقاد في مقدمة ديوانه (التمس العاصير) أن العاطفة لا تناقض المنطق يقول : « العاطفة لا يمكن أن تكون مناقضة للمنطق متى عرفناها حق المعرفة . وجعلنا مقدماتها ووصلناها وصلا مستقيما يتألفها » .

وتقدم لقصيدة من قصائده ، كما صنع في مقدمة نظميته (ترجمة شيطان) حين نشرها في ديوانه ، بما يبين الدافع إلى كتابتها عقب قيام الحرب العالمية الأولى ثم لما جمع دواوينه الأربعة في مجلد واحد سنة ١٩٢٧ حذف كل المقدمة وكتب أخرى غيرها .

ولمّا كتبه محمد مصطفى الماحي مقدمة لديوانه الصادر سنة ١٩٣٥ ولطبعته الثانية سنة ١٩٥٧ نجده يعرفنا أن ديوانه صدر وقت صدور ديواني الملاح الثالث لعلي محمود طه ، ووراء الغمام لإبراهيم ناجي ، وفي هذا ما يقتنا على سر خفوت صوت ديوانه نظرا لاختلاف منهجه واتجاهه عن منهج صاحبيه ، فهما صوتان لاتجاه جديد ، وهو صوت لاتجاه يحافظ . ونجد في مقدمته ما يساعدنا على هذا الاستنتاج .. يقول أنه نصادي :

« بأن الشعر العربي - في رأيه - يجب أن تبقى الصلة قائمة فيه بين ماضيه التليد وحاضره الجديد ، وأن يعنى في نسجه ونهجه بمتانة الأسلوب وروسة الديباجة وأصابة المعنى وسلامة الذوق ودقة التصوير وإبداع الخيال مع جلال الراء ووضوح الأداء (٢) » . ويحدثنا عن نزعتة الأدبية في صدر شبابه ، ودوافعه إلى قول الشعر ، ونظرتة للشعر الخالي من

الإغراب والأغلاق ، والمعتمد على الصدق معها ساقته مناسبة ، كما يشير إلى تأثير بقراءة المثني والمصري وابن زيدون والبهاء زهير ، ومحمد المويلحي ، وبعض القراءات الأجنبية .

أما محمد الأسمر فيبعد لدويانه بثلاث صفحات تعتمد أنها ذات قيمة أدبية لدى دراسي الأدب بتجديده ما يلزم الشاعر من أدوات هي :

الإطلاع على اللغة وأدائها ، والشعور الصادق ، والقدرة على صياغة الشعور بالفاظ مختيرة .

كما تبدو أهمية عرضه لتجربة المعاناة في عملية الإبداع الفني لدى الشاعر بقول : « وحال الشاعر في معاناته للنظم الشعر أشبه الأشياء بحال التي تلد ، فمعاني الشاعر وصياغته اللفظية التي تتخض عنها انفعالاته النفسية أليتان من الشعر ليست في الحقيقة إلا ميلادا لبينات أفكار الشاعر ، ولعل هذا هو السبب الأكبر لتعصب الشاعر لشعره وحبه إياه ، أي كان هذا الشعر . كما هو شأن الأم مع إبنائها ، والوالد مع أولاده » .

ويشير إلى شدة ما يعانيه من انفعالات انشاء التأليف حتى ليجد القصيدة مسكة بتلابيبه كأنها الأمواج ، ويتحدث عن طريقته في الكتابة حين يجد نفسه - أول نظمه - مسوقا إليها بشعور خفي ، فيأخذ التيار الجارف فريد وجهه ، ويذبل بصره ويتعيب عين حوله ، ينام نوما متقطعاً ثم يكتبها ثم له ، ويخيل إليه أن يحه (ساعة) تؤدي عملها ، ويخيل إليه أن قلبه موقد ملتهب يمنح الحرارة لرأسه غيتايل الشعر ، وأنه لا يرتبط في تأليفه بوقت أو مكان ، وأنه معجب حينما يقرأ ما كتب حتى كأنه ليس بصاحبها ، وفي ذلك ما يذكرنا بسؤال سلاله رسام مبتدئ لاستاذة قائلاً :

« متى أعد اللوحة من لوحات رسمي كاملة ؟ » فأجابته الاستاذة :

« في الوقت الذي تستطيع النظر إليها دهشاً قائلاً في نفسك :

« أنا الذي فعلت هذا (٣) ؟ ! »

وبين منهجه أنه لا يلزم نفسه ما لا يلزم ، وأنه ربما خالف علماء العروض فيما لا يتعارض مع النغم الشعري كما يراه ، وأنه لا يتعصب لتقديم أو حديث بل يميل إلى الجيد من الشعر في شتى العصور .

ونقف أمام نص يبين نظريته إلى قضية اللفظ والمعاني ، يقول :

« أنه ليخيل إلى أحياناً أن المعاني حينما تجول براسي أنها هي نفسها التي تبحث عن الفاظها اللاتئة بها ! كأنها أسراب طائرة ، كل طائر منها يبحث عن وكرة ، فإذا وجده نزل به مستقراً مطمئناً وإن لم يجده

ظل شاردًا حتى يهتدي إليه ، فإن نزل بلفظ غير لفظه الجدير به حل فيه مضطرباً قللاً كما ينزل الطائر بفقر وكرة ، ثم غادره محلقاً براسي جاثلاً هنا وهناك باحثاً عن لفظه . وأنا في كل ذلك كأنني شخص غريب يشاهد وينظر ، لا الشاعر الذي يصوغ وينظم !! » .

ويقول : « كما أتى إذا وجدت للفظ المألوفة الخفية على السمع ما يميزها من النحو أو الصرف أو الاشتقاق أو القياس اللغوي إجزتها وفضلتها على غيرها ، ما دام غيرها لا يقوم في النغم الشعري مقامها » .

وهذا هو عبد الرحمن شكري يبسط آراءه ، ويعرض نظريته ، ويتحدث عن التجربة الشعرية في مقدمات دواوينه ، وحديثه ذو أهمية فائقة نظراً لسبقه إلى هذه الآراء في وقت باكراً ، لدرجة أنه سبب دهشة وانتهارا لمعاصريه فلأن به البعض ، وأعرض البعض عن آرائه ، من ذلك قوله عن التجربة الشعرية :

« لا ينظم الشاعر الكبير إلا في نوبات انتكاس عصبي ، في اثنتائها تغلي أساليب الشعر في ذهنه ، وتتضارب العواطف في قلبه » .

وقوله : « أما في غير هذه النوبات فالشعر الذي يصنعه يتأني فائر العاطفة تليل الطلاوة والتأثير » .

ويقول : « أن وظيفة الشاعر في الآونة عمن المراحل التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق ، ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون الشاعر بعيد النظرة » .

وقوله : « أليس هو الذي يرمي بجهل الإبد بعين الصقر فيكشف عنها غطاء الظلام ؟ » . ويصفه بأنه يخلق ، وينظر في أعماق الزمن ويلج إلى صميم النفس .

الوحدة القصصية أو الفنية

ومن أسبق الأمور التي جرت على قلم شاعرنا دعوته إلى الوحدة الفنية في القصيدة وقد مثلت هذه الدعوة تطوراً كبيراً في الشعر الحديث ، بفضل هذه الدعوة ، وما انضم إليها من جهود زميليه إبراهيم عبيد القادر المازني ، وعباس محمود العقاد في هذا المجال ، أما في كتاب : الديوان ، أو في كتبه ومقالاته وبحوثه المتعددة ، يقول عن الوحدة الفنية لأنها بعض من يقف عند بيت أو أبيات من القصيدة :

(فإنه لا يحاول فهم مغزى القصيدة الذي لا يستخلص من أبيات مفردة من القصيدة بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تتضمنه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأي فيها واختلاف حالات النفس التي ضمنها القصيدة) .

وبينها أن نقف وقفة سريعة أمام ظاهرة

الغمام (١٩٣٤) لناجي ومقدمة ابراهيم الدسوقي
اباطة لديوان (ليالي القاهرة) (١٩٥١) لناجي ومقدمة
محمد عبد الفتي حسن لديوان (الطائر الجريح) (١٩٥٧)
لناجي ومقدمة الدكتور محمد منصور لديوان (عيسى
الارض) لفوزي العنتيل ، ومقدمة ميخائيل نعيمة
لللمجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران - مكتبة
صادر - بيروت .

وفي مقدمة الدكتور هيكل لديوان شوقي في جزئه
الاول تجد نبذة تاريخية تبدأ منذ مقدم الحملة الفرنسية
على مصر سنة ١٧٩٨ حتى مولد شوقي والعوامل المؤثرة
فيه ثم يحلل الشاعر شعره ... ويقول :

« وانك تكاد تشعر حين مراجعتك اجزاء ديوانه
كأنك اهام رجلين مختلفين جد الاختلاف لا صلة بين
احدهما والاخر الا ان كليهما شاعر مطبوع يصل من
الشعر الى عليا سبواته ، وان كليهما مصري يبلغ
جبه مصر حق التقديس والعبادة (٤) » .

ويتناول ما قبل عن ازدواجية نفس شوقي
ويستعرض بعض قصائد الديوان ، ولغته ، وموضوعاته
واغراضه .

وفي مقدمة احمد أمين (٥) تجد لونا ادبيا وانبيا يعتبر
نموذجاً للمقدمات الفنية الجيدة ، فهو يعرف بالشاعر
تعريفاً وانبياء ، وبأهله وبيئته ، ويوازن بين نشأته
ونشأة شوقي ، ويعرض مراحل حياته وبما مر به من
شدائد ، ويتحدث عن صفاته واعماله ، وثقافته ،
وشعره وموضوعاته ومنزله الشعرية في حركة التجديد
ويوازن بينه وبين شوقي ، وبين منزله الشعرية
ويتحدث عن تحقيق ديوانه وتوثيقه وما سبقه من شعر
لحافظ في دواوين مطبوعة منذ مطلع القرن العشرين حتى
ظهرت تلك الطبعه من الديوان وجهود الناشرين
والجامعين في هذا المجال ، ويتناول لغته ، وتصويره
ورثاه ، وغير ذلك من قضايا (٦) .

٢ - المقدمة الشعرية

وقد تكون المقدمة في قالب شعري موجز أو مطول
يصدر به الشاعر ديوانه ، من ذلك يقول الشاعر
السوري سليمان العيسى في صدر ديوانه (رمل عطشى)
بعنوان حيات رمل :

أهـا حيات رمل عطشت

فقدت الياس فيها الظما

أنا في أعماق قومي صرخة

تنشظى لا قمبيد يقرأ

حسب لحن ينتهي في وترى

أته في صدر غيري يبعث

ومن ذلك مقدمة محمد عبد الفتي حسن لديوانه
(من وراء الأفق) ، ومحمود حسن اسماعيل لديوانه

المقدمات في الدواوين الشعرية لديه ، نقد حرص شاعرنا
على أن يجعل في صدر معظم دواوينه مقدمة موجزة
توضح رأياً جديداً له ، أو تعرض وجهة نظر عنده ،
أو تناقش وتنفذ تعليقات وآراء حول ديوانه السابق ،
فيها عدا مرة واحدة كتب المقدمة فيها عباس محمود
العقاد وذلك في الديوان الثاني : لآلي الافكار ، وكانت
هذه المقدمة بعنوان : الشعر ومزايده وذلك عام ١٩١٣ .
وهذه المقدمات وما شابهها ذات اثر كبير في ارساء
وتدعيم اسس النهضة الشعرية الحديثة ، وجلبنا
الحالي مدين لهذه المقدمات بالكثير ، فيها اكتملت نهضة
الشعر التي بدأت على يد البارودي ومن بعده ، وبها
قام النقد الادبي الحديث الذي صار يكتفل على يد
النقاد .

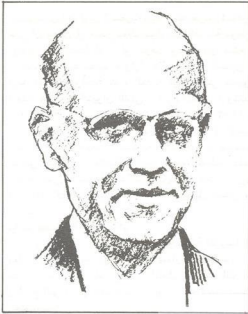
ب - مقدمات لغوي الشاعر

وتتصد بها ما قدم به كاتب ذو مكانة فكرية أو
وطنية أو ادبية لديوان شاعر ما متناولاً قضايا فنية أو
حقائق ادبية ونسبدياً في هذا المجال عبارات التقرظ
والمدح التي تحفل بالمبالغات وتخلو من الفائض
الطليعية .

وأمثلة تلك المقدمات عديدة ، ومن مقدمة الكاتب
الوطني ما كتبه الزعيم محمد فريد لديوان وطنيتي الذي
لم يكتب على الغالباني سواه ، وفائدة التقديم هنا وطنية
تاريخية أكثر منها فنية نظراً لمواقفها الوطنية ، فقد حرك
الغالباني عقب صدور ديوانه .

ومن تلك المقدمات : مقدمة الدكتور محمد حسين
هيكل ، ومحمد سعيد العريان لديوان امي الشاعر والحد
شوقي ، ومقدمة محمد المويلحي لديوان شاعر النيل
حافظ ابراهيم (ط محمد هلال ١٩٠٣) ، ومقدمة محمد
سبري السبروني للشوقيات المجهولة (جزءان ج ١ ١٩٦١
٢ ١٩٦٢ - مط دار الكتب ، ومقدمة عبد الرحمن
شكري لكثير من الدواوين ، وفي مثل ذلك في مقدمة
الدكتور هيكل لديوان محمود سامي البارودي ، ومقدمة
الدكتور طه حسين لديوان عزيز فهمي ، والدكتور عبد
العزيز شرف لديوان البياتي .

ومقدمة عبد الحيد فهمي مرسى لديوان محمد
الاسمر ، ومقدمة العقاد لديوان (لآلي الافكار) لمعد
الرحمن شكري بعنوان (الشعر ومزايده) ، ومقدمة
احمد امين لديوان حافظ ابراهيم ، ومقدمة محمد الامين
الشابي لديوان الشابي اغاني الحياة (ط ١٩٥٥) ،
ومقدمة الدكتور شوقي ضيف لديوان « ترانيم الليل »
لعلي الجندي (دار المعارف ١٩٦٤) ، ومقدمات
الدواوين التي يصدرها المجلس الاعلى للفنون
والاداب بالقاهرة في مشروع الكتاب الاول ، ومقدمة
أبي شادي ، واحمد المسوي لديوان (وراء



إيليا أبي ماضي

من أجل شيخ لونت
كفاه دنياي الجيلة
فاخضورت طرقاتها
ونمت بصفحتها خيلة
من أجل ذكره التي
أمتست لقلبي مسجدا
أرسلت تلك الأغنية
ت ترود أعماق المدى

ومن ذلك الإهداء المؤرخ في ١٩١٩/٦ للجزء الثاني من ديوان « إيليا أبي ماضي (ص ٢) ، وأهداء إبراهيم ناجي لدواوينه ما عدا الطائر الجريح الذي ظهر بعد وفاته بأربع سنوات ، وكذلك ديوانه الذي جبع بعد وفاته ، ومثله على محمود طه الذي أهدى دواوينه كلها ما عدا شرق وغرب والفائدة الفنية لهذه الإهداءات عينا ننصو - تتمثل في محاولته بلورة فكرة الشاعر ، وإشارته إلى محور أرائه ، ونبين عواطفه ، وفي ذلك ما قد يساعد دارس الأدب وناقده ومؤرخه في تفسير بعض مضامين النص والقاء الضوء عليها ، وتاويل بعض الرؤى والرموز والدلالات .

نستطيع - إذن - أن نسلم بأهمية مقدمات الدواوين سواء أكانت نظرية أم شعرية ، بقلم الشاعر أم بقلم غيره من الباحثين والمفكرين باستثناء

(لا بد) والياس أبو شبكة لصعيد الإلهة (١٩٥٩) والبياني في ملائكة وشياطين . ومن أروع المقدمات الشعرية ما قدم به نزار قباني لديوانه (تسالت لسي السراء) ، وما بين تلون أغراض الشعر وقديسيته ، وما يؤكد التصاقه بنفسية كاتبه ، وما يعاينه الشاعر لحظة الميلاد الفني ، والتزام الشعر بقضايا وطنية واجتماعية وفنية ، وقدرات الشاعر الفكرية والفنية ، وما بين أن الشعر جزء من الشاعر ، وأن الشاعر لا يطلب مجدا أدبيا ولا اجتماعيا وإنما يطلب الصدق الفني ، وصدق الشعور :

إذا قيل عني « أحس » كضائي
ولا اطلب « الشاعر الجيدا »
شعرت بشيء « فكنت شيئا »
بعفوية دون أن أقصد

وستلقتي بنص تلك المقدمة الشعرية لأهميتها وندرة أمثالها في المقدمات الشعرية .
وقبل ذلك نشير إلى أنه قد يكتب المقدمة الشعرية شاعر آخر غير شاعر الديوان ، من ذلك ما كتبه حافظ إبراهيم في مقدمة ديوان خليل مطران مادحا ومقرظا في نحو مبالغ فيه :

إفي العشرين تعجز كل طرق
وترقصنا بأحكام القسواني
شهدت بان شعرك لا يجارى
وزكيت الشهادة باعترافي
لقد بايعت قبل القاسي شكركي
فمن هذا يكابر بالخلاف

٣ - الأهداء

وقد نجد بديلا للمقدمة النظرية في الديوان أهداء شعريا أو نثريا ، من ذلك قول محمد إبراهيم أبو سنة في مقدمة ديوانه الأول (قلبي وغزالة الشوب الأزرق) شعرا :

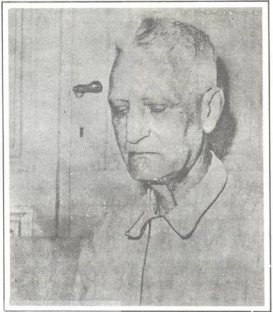
« إلى الذين يصرون على إنقاذ الحب ومجد الإنسان :
أن يكن غيري يعزف في ناي ذهب
أناغفر يا شبيب أن أعزف في ناي حطب
ليس في الآلة حس أن في الفروح الطرب
أنا ما جئت أغني أنها حجب » (٧)
وقوله في ديوانه (أجراس المساء) نثرا :

« إليها ...
إلى هذا الضوء الباهر الذي سطع في حياتي
فغنى كل شيء

ثم انطلقا ورحل ، فبقي كل شيء (٨)
ومن ذلك قول علي عبد الفتاح عيسى في أهداء ديوانه (خطوات بعيدة) (٩) :



السيد



المقاد

روادها ،
وتشيع في مقدمات الدواوين — سواء اكتبها
الشعراء ام غيرهم — عدة ظواهر غنية نوجز القول
فيها فيما يلي :
الظاهرة الاولى :

ان تتبنى المقدمات وجهة نظر مدرسة ادبية او
اتجاه ادبي ، فنعرض خطوطه ، ونشرح منهجه ،
وتدعو للراء النقدية التي يتادي بها هذا الاتجاه الادبي
وغالبا ما يكون الشاعر صاحب الديوان من ابناء هذا
الاتجاه ، من ذلك مقدمات « المقاد » لدواوين صديقيه :
المازني وشكري ، ومقدمات شكري لدواوين صديقيه
« المقاد والمازني » . وقد كانت هذه المقدمات عرضا
نظريا لمناهج مدرسة الديوان التي عرفت باسم كتابها
النقدي الشهير الذي صدر سنة ١٩٢١ في جزأين
للمقاد والمازني .

يقول المقاد في مقدمة الجزء الاول من ديوان
المازني سنة ١٩١٣ :

« لقد تبوأ منابر الادب لاعداد لهم بالجيل
الماضي ، ونقلهم التزينة والمطالعة اجيالا بعد جيلهم ،
فهم يشعرون بشعور الشرقي ويتمثلون العالم ،
كما يتبشله الغربي ، وهذا مزاج اول ما يظهر
من ثمراته ، ان نزعنا الاثلام الى الاستقلال ورفس

كلمات الاطراء والمدح والتعريض ، وباصطناع عبارات
الاهداء العاطفي المحض .

كما يمكن ان نلمس اثرها الفني في اثرها الحقيقية
الادبية وتقديم العون للباحثين والدارسين والمفكرين
وانها تمثل الجانب النظري من الحقيقة الادبية على حين
يمثل الديوان الجانب العملي او التطبيقي .

وتزداد اهمية هذه المقدمات اذا صدرت من علم
له مكانته في حقل التجديد الابداعي في الشعر او التجديد
النقدي حول الشعر ، لانها حينئذ ستكون النافذة التي
يعبر منها القائل الى قرائه وتلاميذته ، ويهد بها لدعوته ،
ويوصل لنظريته فتزداد اهمية ذلك اذا صدر من واحد
كالخليل ، او شكري ، او المقاد ، فكل واحد منهم
اتخذ مقدمة ديوانه او ديوان غيره مجالا لبسط ارائه
الجديدة ونظريته حول الشعر .

ومن تلك المقدمات يمكن استنباط اسس النقد
الادبي واسس تقويم النص الشعري ، واسس الدراسة
الادبية ، ومنها يمكن الوقوف على الاجيال الادبية
والمدارس والاتجاهات الفنية ، والمذاهب الادبية ،
ومجالات التأثير والتأثر ومنها يمكن — مع الجمع
والاستقصاء المتأنيين — الاهتداء الى اركان (نظرية
الشعر) في الادب العربي الحديث في مبناها ومعناها ،
ولقنتها وموسيقاها واغراضها ومحتواها ، واعلامها

ومن الجدير بالذكر أن نقرر أن جمل التقديم
النثرية التي تسبق بعض القصائد قد تفتيد في بيان
مناسبتها ، لكنها إذا طلعت بشرح مضمون القصيدة
فسدت قيمتها وقطعت على القاري اللذة الفنية .



(١) دارت مقدمة الديوان الأول هدية الكروان حول اسمه (ص ٧ - ١٠) ، والثاني أعاصير مغرب حول اسمه (ص ٩٠ - ٩٧) ،
والثالث بعد الإعاصير بعنوان في ذمة النقد - نحن في زمن المراجعة
والفوقيم (ص ١٩١ - ١٩٨) ، والرابع يحي الأريمن بعنوان الشعر
المصري (ص ٢٩٧ - ٣٠٠) ، والخامس غابر سبيل بعنوان
الموضوعات الشعرية (ص ٣٧٧ - ٣٨٠) - الديوان الكامل -
الهيئة ١٩٧٣ .

(٢) المقدمة ص ١٨ .

(٣) ما الأدب ؟ - سارتر - ترجمة الدكتور محمد غنيمي هلال -

ص ٤٨ الانتجلو ١٩٦١ .

(٤) المقدمة ص ٦ ط .

(٥) ضبط الديوان وشرحه وصححه ورثبه بمشاركة من أحمد
الزين وإبراهيم الأبياري .

(٦) ونذكر من المقدمات أيضا مقدمة الشيخ أحمد الاستدري لديوان
عبد الملك ، وأنطون الجليل لولي الدين يكن ، والمفلوطي للكاشفة
وأحمد الزين وهاشم حسين ، وأنطون الجليل لإسماعيل صبري .
ومقدمات الأقارب مثل مقدمة ديوان صالح مجدي بقلم ابنه محمد ،
وديوان عائشة النيبورية بقلم حفيدها أحمد كمال زاده .. الخ .

(٧) ص ٧

(٨) ص ٣

(٩) ص ٧

(١٠) ديوان المازني ، المقدمة ص ١٣ - ط المجلس الأعلى للثقافة
والآداب .

(١١) المقدمة ص ٧ الى ص ٨ ط ٢ ١٩٥٩ .

(١٢) من ص ١٩٧٣ - ١٩٧٥ .

(١٣) جمع رامي أيضا ديوان الطائر الجريح لتاجي الذي صدر
سنة ١٩٥٧ أي بعد وفاة تاجي بأربع سنوات .



غشاوة الرباء والتحرر من القيود الصناعية ... (١٠) .
ثم يعرض لبعض مظاهر التغيير في الشعر العربي
الحديث ، كما صنع زميله شكري في عرض أرائسه في
الشعر ونقده وتذوقه وأغراضه ولغته .. الخ .
وكما صنع أبو شادي مؤسس جمعية « أبولو »
حين كتب مقدمة ديوان (وراء الغمام) لتاجي سنة
١٩٣٤ .

الظاهرة الثانية :

تبطل في دعوة الشاعر الى نمط فني جديد لم يكن
لشعره عهد به ، فيعرضه ويذكر ببررائنه ويدعو الى
المشاركة فيه ، من ذلك دعوة أمير الشعراء « أحمد
شوقي » في مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات سنة ١٨٩٨
الى الكتابة للأطفال ، وأشارته الى ما قدمه لهم من
نماذج ، وذكر مصادر تأثره ، ومن يمكن أن يشاركه من
الشعراء في كتابة هذا اللون ، وغير ذلك من قضايا
تتصل بأدب الأطفال .

ومن ذلك ما قابلت به الشاعرة العراقية « نازك
الملائكة » في مقدمة الطبعة الأولى من ديوانها الثاني
(ضحايا ورياد) بتاريخ ٣-٢-١٩٤٩ حيث بسطت
القول في شرح نظرية التجديد الموسيقي في الشعر
الجديد (١١) ، وحيث شرحت مدلول بعض الأساطير
التي ورد ذكرها في قصائد الديوان ، وقيل بذلك
الشرح ديوانها (١٢) فشرحت معنى « بيوتوبيا » و« ديانا »
ونارسيس ، وأبوللو ، ولا برنت ، و« هياواتا » و« هياواتا »

الظاهرة الثالثة :

ما يمكن أن نسميه مقدمات جمع وتحقيق الدواوين ،
وهو ما يحدث في حالة جمع ديوان شاعر ليس على قيد
الحياة ، كما حدث في جمع شعر الدكتور « إبراهيم
تاجي » حيث قام بجمعه وتحقيقه كل من : الدكتور
أحمد هيكل ، والشاعر أحمد رامي (١٣) ، والشاعر
صالح جودت ، ومحمد تاجي .

وفائدة هذا النوع من المقدمات أنه يتضمن حقائق
علمية تفيد الدارسين ففي ضوء هذا المثال نجد مقدمتين
مهمتين أحدهما لأحد أبناء جيل الشعراء ومدرسته
والأخرى لاساتذ جامعي أخذ يحدد مدارس الشعر
في العصر الحديث ويحدد دور الشعراء ومدرسته وسما
شاعريته وخصائصها .

ومن ذلك ومن غيره نرى كيف تقوم مقدمات
الدواوين بإعداد تاريخنا الأدبي بالحقائق والمعلومات
التي لا غنى عنها للدارسين والباحثين عن الحقيقة
الأدبية .

البعث عن اشجار الزيتون

محمد حسين

ونمر من كل مكان حولك اشربة
تعرض فيها افلام الحب وافلام الوطنيه
فاشعل مصباح النور لتبصر درب اليوم ..
وتنسى درب الامس القاتم خلف حدود
القهر ...

وخلف حدود النذل ...
لتحيا النور الشمسي
ونرشف آهات في كل مساء
بين يديك وتصرخ ...
اسقوني للقلب الظلامي في الحد الاخر كي اعرف معنى
الشار ...

ويعني الجندب النائر في ارض الخير ...
وبين الشعب الباحث عن غصن الزيتون ...
وراء الكون النازح في كل زمان
ليعزي اصحاب الخضران ...

ويرد عليهم باقة خمر ...
كانت قد سرقت من بين الاغصان
كي يصحو الكون ...
ويبصر هذا الكون

ويسمع هذا الكون ...
ويبقى في الارض حزين لا يعرف ماواه
وبقايا موت تبحث عن عيش ..
في جسد لا يعرف معناه
في وقت ينسان فيه الكون ..

وبدرك انا لا نعرف في الارض ...
سوى اشجار الزيتون
وبقايا اوراق تصرخ منذ الماضي ...
كي ننقذ فيها الحرف وقد ضاعت دنياه ..

محمد حسن حسين
— الاردن —

لا يا هذا الكون المرسوم على شطآن الارض ..
بلوحات زيتيه ..
ساعدني كي ارحل من هذا الزمن القاتل ..
تحت شमार الحربية ..

قل لي كيف اسير واين اسير ...
ومن حولي تحيا راحات لا تعرف الاسف الدم ..
وقتل الارواح البشرية
يا هذا الكون الصامد في كل مكان

قد جاء اليك المحقوق وينتوه السجان ...
فارو بالصدق ومن اجل الحق
كيف تهاديت علي
كيف الارض تصير اليك

وقد كانت ملك يدي
كيف القتل يصير حلالا
في زمن المعدل ...
وفي زمن يحيي ارواح الخلق من الظلم ...

وان كانت رائحة الدم تفني للعشق وللطهر ..
وتفرق في دنياك الفجرية
يا هذا الكون السائر في الدرب ...
لماذا تنسى ان الحق يناجي الحق ..

ليأخذ منه النار ...
ليطلب منه الحب وينسنا آلام الحرقه ..
وآلام الخلق ..
ويحيي فينا نسمة ودّ بعناها بالمال ولم

نفرح فيها
حتى قاذنا الآن الى الصمت ...
ونحو الاكواخ الموبوءة بالدم
لتصرخ ظلما ثم نقول : —

يا هذا الكون الاكبر ابصر ...
ها نحن نرد في كل صباح
كلنا ندرك انك تتركها ..

ثعلب وأرانب



<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

قصة قصيرة بقلم : طه الحواس

جاءت صبحانهم حبيسة خوفاً .
احتبست الصيحة في الخناجر وماتت
على الشفاه ..
— انه المجنون . يا ترى ماذا
سيمعمل اليوم ..
واخذت المرأة طفلها بين ذراعيها .
ضمته الى صدرها . احتضنته في
قسوة حانية . بلا الفزع قلبها
واطلل الرعب من عينيها . وهنت
ساقها . وقعت يد الملاق على
راسها . قذف بالملاءة في الهواء .
وامتدت يده الى صدرها . قبضت
الاصابع الغليظة الطويلة على عنق

بعد ان تشتري حاجات البيت
سأشتري لك ما تريد ..
ارتسمت على وجه الطفل
ابتسامة بريئة مشرقة وطوح يده
بذيل الملاءة في مرح بالغ .. وجاء
رجل اسود ضخم الجثة . اقبل من
وسط الجاهل . تعثرت قدماء في
اقلص البضاعة . داست على
ارجل الناس . ضربت يده
الطويلتان في كل ما يعترض طريقه .
نظر الناس اليه في خوف . انفسحوا
له الطريق . اقترب من هدفه .
وقف امام المرأة . صاح الناس .

كان السوق مزدحماً . اصوات
الباعة في كل مكان . غرقت ماذا
تشتري ؟ عباس زوجها يحب الباعة
ثم الكيلو خمسة عشر قرشاً .
ماذا تعمل ؟ الكوسة ربما تكون
ارخص . جذب طفلها ذيل الملاءة
باصابع رقيقة بيضاء . وتحركت
شفاه الجراوان ..
— أمي .. اريد قطعة من
الشيولاته . ابراهيم الشرقاوي
كان معه في المدرسة علبة كبيرة .
رفض ان يعطيني منها ..
وقالت الام .. انتظر يا حبيبي .

الطفل — تحسن الناس حناجرهم
بانت لذات الحياة في ميوتهم .

— انه طفل جميل .
— مسكينة امه .

صاح الطفل وغاص قلب الام الى
تدميمها . صاحت ملثامة .

.. ابني . ابني يا ناس .
وارتفعت يد العملاق بالطفل الى

اعلى راسه كما يرتفع الباشق
بعضصور صغير . ومالت اعناق

الناس الى الخلف كأنها مشدودة
بخطب في يد العملاق . خطأ العملاق

بين الناس . والتفت الناس
ينظرون اليه . تصل اليهم صيحات

الطفل وصرخات الام . واختفى
العملاق وهم ينظرون ..

وانتشر الخبر في المدينة .. في
الشوارع .. الغاهي .. في البيوت

.. في المدارس للتلاميذ والدرسون
تناقشوا في الحكاية .. وفي النوادي

تباحثوا في القصة العجيبة ..
وسموا المذيع في الراديو والتلفزيون

بان الكبار والاعيان سيمعلنون جمعية
وينظرون في القضية .. وذلك بمد

ان تمكن رجال المعلن من القضاء
القبض على العملاق الاسود ..

اغلق التجار حوانيتهم ، وترك
موظفو الحكومة بكانتهم . ورفضت

بعض دور الحكومة الاعلام الخضراء
والبيضاء تبينا بانتصار رجال

الجمعية على العملاق الاسود ..
وابتلات الشوارع المؤدية الى

مقر الجمعية بالجواهر . رجال
وشباب واطفال ونساء . قال

الذين شهدوا هذا التجمع . ان عدد
المشاركات في هذا الحشد من

النساء ماق اضعاف المشتركات في
اي مظاهرة سابقة . كن يرتدين

الملابس السوداء . يسرن في طابور
طويل تتقدمهن ام الطفل المخطوف .

تسير في اعماء بجوارها زميلتان
تسدان كتفيها . واكتظت الشوارع

برجال الامن يحفظون النظام ويبعدون
المتظاهرين من القوف في طريق

سيارات اعضاء الجمعية . وتراحت
الجواهر امام مقر الجمعية وحول

السور الحديدية . وارتفع البعض
على اكتاف الاخرين وتسلق السور

بينما حمل بعض الناس زملاءهم
ليروا وجوه اعضاء الجمعية ، علمهم

يلمحون فيها ما يطعنهم على سير
القضية . وتتابعتم سيارات

الاعضاء تصحبها طلعات الناس
واستفساراتهم وتدافعت بوجات

الحرس لتلف حولها تحيها من
شوشرة الجماهير . وجاءت سيارة

أحد الاعضاء يرتفع صوت نغرها
يزعج الجماهير . والتفت حوله

الحراس . ومرت العربة من الباب
الكبير . قال رئيس الحرس ..

هذا هو آخر الاعضاء . انجبت
نزل العضو من عربته . انجبت

اليه انقل الجواهر ..
— انه شاب صغير ..

وخلف العضو الشاب تجاه
السور حيث كانت تقف المرأة .. ام

الطفل المخطوف . سمع بعض
الناس طيئها . وانهم الحراس

بينه وبين المرأة . حارس . حارس .
ثلاثة . ثم كتلة كبيرة من الحراس

دفعتم العضو الشاب بعيدا عن
المرأة .. وارفعت صيحات

الجواهر ..
— انركو يتحدث اليها .. دعوه

يطيئها ..
وقال اخرون ..

— انه طفل .. كيف يقبلون
الاطفال في الجمعية ؟

اغلق الحراس باب السور . لوح
العضو الشاب بيده قبل ان يختفي

خلف الباب الداخلي .. اغلق الحراس
هناك الباب خلفه . التفت بعض

الناس حول المرأة . سألوها ..
— ماذا قال لك الشاب ؟

.. لم افهم ..
— هل طمأنك ؟

— لا ادري ..

— هل امسكوا العملاق حقا ؟

.. لم افهم ..

— هل وجدوا الطفل ؟

— ربنا بقدر الخير ..

.. ربنا معاك ..

— ربنا ينصرك ..

استطاع بعض الناس تسلق

اغصان الشجرة الكبيرة التي امام

الباب . وتبكن بعضهم ان ينظر الى

القاعة ..

الصمت يلقي بظلاله على الجميع .

العملاق الاسود يجلس بكتوف اليدين

على المنصة بجوار رئيس الجمعية ..

وجبه جامد الملامح . عيناه تنسفحان

وجوه الاعضاء في خوف ورعبه ..

مد رئيس الجمعية يده .. جذب

الميكروفون الى فمه . ابتلع لعابه

.. تنحن ثم قال ..

— باسم الله نفتح الجلسة ..

وجدول الاعمال كما هو معلوم لديكم ،

هو منظر قضية هذا الانسان الذي

اختطف الطفل من امه ..

أحد الاعضاء .. يا سيادة الرئيس

نريد ان نطمئن على حالة الطفل .

هل هو حي يريزق ؟ هل سيعود

الى امه المسكينة لنفرح به ؟ نريد

جوابا لهذا السؤال المهم ..

عضو آخر .. اذا كنتم قد القيتم

القبض على هذا العملاق بملبسنا

بجربته فلماذا لا توقع عليه العقوبة

في الحال ، ليكون عبرة لأمثاله .

عضو ثالث .. سيادة الرئيس ..

السادة الزملاء اعضاء الجمعية

أرى انه لزاما علينا كي لا نتمم باسائة

استعمال المبادئ الديمقراطية ..

أرى انه لا بد من ذكر تفاصيل

القضية . وان نشرح للجواهر كل

ما يتعلق بها من ملايسات .. ويا

حبذا لو امكن اذاعة وقائع هذه

الجلسة على الهواء مباشرة ، حتى

يمكن ان نعطي الجواهر الحقيقة

التي يتشوقون اليها ..

وصفق له بعض الاعضاء وصاح
احدهم ..
— تعيش الجماهير .. تعيش
الجماهير ..

ويقف العضو الاول .. اسحقوا
لي ايها الاعضاء ان اقول انه نظرا
لخطورة هذه القضية فاني اعارض
راي الزميل لانه يتعارض مع اتجاهنا
العلمي لحل مشاكل الجماهير ..
واذاعة هذه القضية على الهواء
مباشرة سيؤثر بلا شك على سيرها
في طريقها العلمي الصحيح . خصوصا
وتحس نعلم ان بعض الزلاء هنا
يميلون الى الاهتمام بالسلسوك
الاستعراضية والاعمال البهلوانية ..
التي لا تخدم القضية ولا جماهيرنا
الحبيبة .. التي فوضتنا للدفاع عنها
في هذه القضية الخطيرة ..

وارتفعت عاصفة من التصفيق في
الاتجاه المقابل .. وتعالمت
التهاتات ..

— تعيش الجماهير الحبيبة ..
تعيش الجماهير الحبيبة ..
وهز المعلق راسه الى اعلى ..
بدا الانتعاش يدب في جسمه ..
تحقق بظلاله وجوه الاعضاء ومن
اليمن الى اليسار .. ثم ركز عينيه
على وسط القاعة ..

العضو الآخر .. اعتقد اننا بهذا
قد ابتعدنا عن القضية . ومن رايي
ان نترك اولا .. في الانهاء من هذا
الشيء .. لا يهم الاسلوب . لكن
المهم هو القضاء على هذا الشيء ..
وقال العضو الثالث في بطله وصوت
جمهوري ..

— سيادة الرئيس . الزملاء
الاعضاء .. ارجو ان لا تنسوا ما
قلته لكم .. اننا هنا نمثل الديمقراطية
وندافع عنها بكل ما نملك . واقتراح
ان نعطي انهم فرصة الدفاع عن
نفسه .. او نعين احد رجال القضاء
للدفاع عنه ..

العضو الاول .. يا سيادة
الرئيس .. هل سيعود الطفل الى

امه ام لا ؟ اين هو الطفل الان ..
نريد ان نعرف ..
رئيس الجمعية الى المعلق ..
هل هناك من يدافع عنك ؟ ام نعين
لك محابيا ؟؟

والفتت المعلق في هدوء الى رئيس
الجمعية .. وسأله ..
— هل من راك ان هذا ضروري ؟
الرئيس .. اعتقد ، لا بد ان تدافع
عن نفسك .. او توكل من يدافع
عنك او نتدب نحن من يدافع عنك .
ما راك ؟

وغرقت القاعة في الصمت ..
الجميع ينظرون في ترقب . قال المعلق
في هدوء ونظراته تجول في ارجاء
القاعة ..

— اعتقد ان الامر لا يحتاج الى
شيء من هذا .. فانتم اصحاب
القرار ..

تطلعت الى عيون الاعضاء في
دهشة واستغراب .. وصاح العضو
الشاب في استنكار ..

— هذا الرجل فسيحة . انه يريد
ان يبال من ديكتاتيرينا . يجب ان
يدافع عن نفسه والا فهناك ارباب
الامم بالسلطة ..

العضو الاول .. وماذا سيحدث ؟
ليقل الناس ما يقولون . اننا امام
موقف لا يستوجب غير القسوة ..
القسوة هنا مطلوبة ايها الزلاء ..
وصفق بعض الاعضاء . كانت
نظرات المعلق قد استقرت في اتجاه
الركن الايمن . حيث راح احد الاعضاء
يقص حكايات جذبت انتباه بعض
الزلاء .. قال ..

كان جده عليه رحمة الله
راجعا الى منزله بعد ان ادى واجب
الزيارة لبعض اصدقائه في القرية
المجاورة .. كان القرب بدرا ونسبة
الصيف ندية .. وعندما اقترب من
منزله رأى شيئا عجيبا ،
راى جموعة من الارانب
تلبع امام المنزل . تسلل الجرن ..
ونزل من فوق حماره في هدوء ..
ايمنه زوجته مستقر جدا اذا استطاع

ان يمسك لها ارنبا او ارنبين .
اقترب من الارانب . انها كبيرة
وسميكة . ليست كاربنا العادية .
احنى ظهره ومد يده الى واحد منها ..
قفز الارب غير بعيد . خطا الجسد
خلقه . اقترب منه . ومد يده لم يقفز
الارب . قبضت يده على عنقه .
وفتح حجر جلبابه . ملاه بالارانب .
كان الحبل ثقيل عليه . وطسرق
الباب .. فتحت له زوجته ونظرت
الى حجرة ..
— ما هذا ؟

واجابها في فرح بالغ ..
— انه رزق ساقه الله البنا يسا
امينة . انها ارناب امسكتها من
الجرن ..

— ودعشت المرأة وقالت ..
— ضعها في بيت الارانب ..

وخطا الاثنان في حرص وهدوء .
وفتحت له امينة باب بيت الارانب
ودخلت اياهما وفي يدها مصباح
الجاز .. وتوشقت المرأة الى رؤية
الارانب . فقد كان في نيتها ان تذهب
الى السوق لتشتري بعضا منها .
والقى الرجل بذيل ثوبه . وقفزت
الارانب من حجرة . وبرقت عينها
المرأة فرحا . ولكن الارانب اخفت
بجود وصولها الى الجدار المقابل ..
ونظرت المرأة الى زوجها . نظرت
الاثنان الى بعضهما في صمت ..
وفجأة ضحك الرجل .. وعقدت
الدعشة لسان المرأة فلم تقدر على
الكلام حتى ماتت ..

وشد العضو انتباه الاعضاء حوله
.. ونقل بعض الاعضاء حكاياته الى
ركن اخر من اركان القاعة ..
وقال احد الاعضاء يصحح الواقعة ..
— لم تكن ارناب . يقولون انها

كانت ثعالب . وفرح بها الرجل وقال
انها ثور من الفراء .. والفراء تحبه
النساء . وتحبس عضو اخر وراح
يحكى — في قريتنا حدثت حكاية
غريبة جدا .. كان فيها زمان رجل
من اثرياء التجار . كان يتناول عشاءه

في الشوارع المجاورة . وخطا العملاق خارج القاعة الى الشارع . داس على كثير من الرجال والنساء واختلطت يده بعض الاطفال واختفى ، والناس ينظرون ..

طه حواس

— الأردن —

المقاعد في سماء القاعة .. ارتفعت بعض السيحات هنا وهناك .. خطا العملاق بين المقاعد — ضرب يديه في السقف وقع السقف وانكسر القيد الحديدي الذي في يديه . اقتلع بعض مقاعد اعترضت طريقه . التي بها بعيدا .. اصابت كثيرا من الجماهير

مع زوجته .. كانت جميلة جدا . وقد تزوجها من حب .. كانا ياكلان سمكا مشويا .. سمك يعني سمك .. وفجأة ظهر امامهما قط اسود كبير .. ومد الرجل يده والقي اليه براس سمكة كبيرة .. ولكن القط لم يهتم بها .. ونظر الى الزوجة .. والقي اليه الرجل بقطعة من صدر السمكة غير ان القط لم يلتفت اليها .. ونظرت الزوجة الى القط ، في عينيه بريق عجيب .. ولاحظ الرجل ان القط دائم النظر الى زوجته .. ودعش الرجل من سلوك القط .. فقال له وهو يشير الى الزوجة ..

— لماذا تنظر اليها هكذا ؟ هل اعجبك ؟ ان كنت تريدناها نخذها .. سوف لا تصدقون اذا قلت لكم ان القط الاسود والزوجة قد اختفيا من يومها حتى الان ، ولا يعرف احد الى اين ذهبا . وترتفع كلمات الدهشة والاستحسان من كثير من الاعضاء .. نظر العملاق الى القاعة .. الاعضاء الثلاثة وحدهم يتناوبون الكلام .. لا يستمع اليهم غير عدد قليل اما بقية الاعضاء فقد كونوا حلقات استماع الى حكايات الاعضاء .. وابتنسم المنهم في سخرية .. نظر اليهم العضو الشاب وصاح ..

— انه يسخر منا ايها الزملاء .. لقد ابتنسم انظروا اليه .. هذه بادرة سيئة اني اخذكم ايها الاعضاء . وظل مقدم في الهواء لا يعرف احد من اين انطلق . اصاب راسه .. سالت قطرات من الدم على جبهته . مسحها وهو ينظر الى العملاق الذي لم تفارق الابتسامة شفثته .. بدا العملاق كما لو كان يكره ويتضخم . قدها تطلون .. ذراعاه تصل الى سقف القاعة .. الناس في الخارج يتساقطون في غلق عن نتيجة الاجتماع .. الام تقف في حيرة .. جفت الدموع من عينيه .. بعض السيدات حولها يطمننها بكلمات الامل .. والكسل يترقب في قلق بالغ خروج احد من أعضاء الجمعية .. تطايرت بعض

في الأسواق



الطبعة الثالثة
من كتاب
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrif.com

أدباء الكويت في قرنين

للاستاذ خالد سعود الزيد



ARCHIVE

عبد السلام عباد الله عبد السلام
http://Archiveta.Sakhrif.com

لقويات كلمة « رعى » :

كلمة « رعى » لا تزال موجودة في القاموس اللغوي المصري ، فقد دام استعمالها رغم زوال كثير من مظاهر الحياة الرعوية من وجه الحياة ، للتفسير الحضاري ، وذلك بسبب اتساع مدلولها اللساني ، فاشتق منها معان مختلفة حفلتها المعاجم كاللسان والصحاح حتى المعجم الوسيط المؤلف حديثا وغيرهم . فحفظها القرآن الكريم والحديث الشريف والمروى من شعر العرب ونثرهم .

هـ « رعى » فعل باشي . مصدره « الرعى » والاسم منه : الراعي ، يطلق على من يرعى الماشية . وكل من ولى أمرا بالحفظ والسياسة .

تجبع على : رعاة ، ورعيان ، ورعاء . الا ان الاول يطلق كثيرا على ولاة الامور في الدولة ، والآخرين على راعى الماشية . والرعية : عابدة الناس ، او الناس كلهم .

والمرعى : المكان الذي تاكل منه الماشية الكلا ؛ وسائر انواع النبات .

اها ما تولد منها فمئل :

رعى امره : حفظه وترقبه .

المرعاة : المناظرة والمراقبة ، ومنها : المداواة .

راعني سمعك : استمع الي .

لا يرعوى الى قول احد — لا يلتفت الى قول احد .

ارعوى : كف عن فعل الشيء .

رعاك الله : حفظك .

ويظهر ان كثيرا من المعاني مأخوذ من صفات

الراعى واعماله ، المتبثلة في حفظ ما يرعاه من التلف ومراقبته ، وجهالته .

ومن آيات الذكر التي وردت فيها قوله تعالى :

« كلوا واشربوا وارعوا انعامكم » و « فبا رعوها حق رعايتها » و « قال فبا خطبكما قلنا لا نسقي حتى يصدر

الرعاء » و « والذي اخرج المرعى » .

جعله من خيام لتساعده على حملها وضربها بسرعة في اي مكان ، وهي ايضا من الغنم . واثري في حياته العقلية صبغ تفكيره ، ساعدته منه بعض عاداته واتخذ من صفاتها واسماها وخاصة الإبل أسماء له وصفات ، وذكر ذلك في شعره ونثره يتدح ويدهج بها ويهجو ويفخر بها ، ويتفزل ببراعيتها ويصفها ويصف انتمائش الحياة بين الإنسان والحيوان وما يعقبه من اثر يبهج النفس .

الادب الرعوي :

على ضوء هذا التأثير البالغ نشأ بما يعرف بـ « الادب الرعوي » عند مخلف الامم ، منذ ان عرفت الاغاني الشعبية عند الرعاة القرويين . وقد وضع « بوكوليك » الشاعر اليوناني صورة واضحة للادب الرعوي في مسرحيته المسماة « ميم » وذلك حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد . كما وضع « ثيوكرتس » الشاعر المعاصر له شخصيات أصبحت نبراسا لمن بعده ، وهذان الشاعران يمدان من الاوائل في كتابة شعر الرعاة .

وهو ادب يعرض لحياة الرعاة بما فيها من سهولة وعموية وصفاء ، ويقابلها بالتكلف الذي تتسم به حياة المدن ، يتناول موضوعات مختلفة كالحب ، والموت ، والدين ، والسياسة ، واوضاع المجتمع ، ويستند الغائلة ويمتأني من حياة الراعي واخلاقه ، ينجح اليه الشاعر : « من الحاجة الى تنفس الهواء التقي بعد اقالة طويلة في المدن ، ومن الرغبة في ايجاد الطبيعة البدائية الاولى بعد ان اخفقت بانثر الحضارة المصطنعة » يكون اما بشخصيات خيالية او واقعية والاولى هي الاصل .

ومن اشهر ما عرف رعويات فرجيل التي وضعها سنة ٣٧ ق ب بشخصيات اسطورية يجدد فيها العظلة الرومانية . وعرف في فرنسا حين نظم رونساير مجموعة شعرية باسم « اولوج » مقلدا فرجيل ، ثم « لافونتين » وكذلك عند الايطاليين في القرن السادس عشر في الرواية وانتقل الى انكلترا في اشعار « شكسبير » و « رولي » الذي يتحدث عن اثر الشتاء على الماشية والمرعى في قوله :

في الشتاء تصير الصخور باردة

يسكت الابل في الشتاء لا يفرد

وتشكو باقي المخلوقات الهموم الخفية

تخيل الزهور ، وتقدم الحقول البهجة النظرية

حسابها

للشقاء العتيد الاهوج مفرطة في التنبؤ غزيرة

النباتات

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الايمان : « حتى ترعى رعاء الشتاء يطلوون في البنيان » . وحديث عمر رضي الله عنه : « كانه راعي غنم » وحديث : « كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه » . كذلك ذكرت في الامثال كقولهم : « مرعى ولا كالسعدان » و « لا تنتن فتاة ولا مرعاه ، فان لكل بفاة » .

الحياة الرعوية :

لذا فان دخول كلية « رعى » في اللسان العربي على هذا النحو لم يات لمجرد الحفظ اللغوي ، وانما دلالة على تامل روح الحياة الرعوية في نفس الانسان العربي .

لقد بدأت حياة الانسان كجنس بالتفعل بن مكان الى اخر ليصلد الحيوان ويحصل على النبات ليأكل ويكتسب ، وهذا ما يسمى تاريخيا مرحلة البحث عن الطعام قبل معرفته الكتابة والصناعة والتجارة . ثم راح يسوق معه ماشيته بين الوديان والخلال متقبعا بمسارب الغيث وغدراته ليضمن لقطعاته البقاء والتكاثر والنمو ، وله الحياة الرضية ، فضرب حولها خياله ومساكنه . ولم يزل حتى اذن الله له في مصادر يزيق اخرى دله عليها ، واثان له طريقها بما ركب فيه من غرائز وبكونات ، فاهتدى اليها بفكره ، ودافع الحاجة ، وتاموس التطور الحياتي ، واقتداء كل امة بسواها ، فعرف الزراعة والصناعة والتجارة ، وبما تكن منها اجبرته على الاستقرار . فأتاشا القرى والمدن وتوكتت الدول ، فاخذ يزرع الارض ويقيم المساكن والمنهبات ، لكنه لم يترك المراعي لكونها غذاء حيوانه فطورهها ونهاها ، وجعل كثيرا من صناعاته تقوم على انتاجها . اما الانسان العربي فكان الرعي ماد حياته كلها فترة طويلة من تاريخ وجوده . حل وارحل حتى نشأ بما يعرف بالحمى وهو مكان ذو مساحة شاسعة لها حدود مملوكة يشرف عليه رئيس القبيلة ، او امير ، او احد القادة ، عن طريق طلب او منحة من الخليفة فيخصص لهم ، تخصص لرعي ابله وايل القبيلة . ملء بانواع النبات والمزروعات ، وقد تحفر فيه الابار ، كان معروفنا خلال العصور الاسلامية ، اما العصر الحاضر فقلت العناية لقلة الاعتماد عليه ، فنظل نوجدها في القرى القريبة في الحقول وعلى سفوح التلال والمصاري القريبة منها ، اما مشاعا لكل الناس ، او خلاصا ببالكه .

ويمكن وصف الحياة العربية الاولى بانها حياة رعوية للآثر الكبير الذي خلفه فيها ، فقد حددت الجغرافيا الطبيعية اثره في توزيع السكان اذ لم يستقروا في مكان واحد . ثم قيام بعض الحرف الممتدة عليه كالصوف وغزله ، والتجارة بالاغنام ، وفي مسكنه

عنيد يتصرف بلا تعقل تقدم حسابا .
اللسان الحلو والقلب المر ربيع جبيل بالنسبة
للشخص
المتقاد للآلوهام ، ولكنهما خريف كتيب في نظر
الشخص الحزين

تتكشف له الحقيقة .
الخريف موسم سقوط الأوراق
تظهر ناضجة شهية في نظر الاحمق
وماسدة في نظر العاقل
لو ان الشباب يدوم .

واخيرا عند شعراء امريكا من « وردث ثورث »
في اشهر قصائده الرعوية : « الحبل الممدل » و
« الصبي الراعي الكسول » و « روبرت فروست »
حين يرسم يوما من حياة الراعي :

ذاهب لانظف التبع في المرعى
من الأوراق المتساقطة هذا كل ما سافعل
وقد انتظر حتى ارعى الماء راقا وصفت
ان تطول غيبتني — تعال ايضا انت
ذاهب لاجلب العجل الصغير
الواقف قرب امه انه من الصفر بحيث
يترنج حين تلحسه امه

ان تطول غيبتني تعال انت ايضا
اما عند العرب فيمثل في الشعر منذ بداياته الاولى
نجدته في مثل قول « لبيد » في مقلته : « يصف مرعى في
« وادي الجليلين » قد احضر واورق حتى نوال الحبوب
ظباؤه ونعابه والمين :

زراغات مراعيع النجوم وصايبها
ودق الرواعد جودها فرجابه
من كل سارية وغضاد مسجج
وعشبة متجارب ارزامها
فعلا فروع اليفهان واطفلت
بالجليلين ظباؤها ونعابه
والعين سائلة على اطلانها
عودا تاجل بالقضاء بهامها
وكوصف زهير بن ابي سلمى منازل حبيبته :

ودار لها بالرقبتين كاتنها
مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والارام يمشين خلفه
واطلأوها بنهضن من كل مجثم

ولو نتبعنا اشهر القصائد الجاهلية كالمعلقات
السبع او العشر لوجدنا حديثا عن المطر والريبع
والوديان الخضراء مليئة بالظباء وسائر انواع الحيوان
والطير ، يغلها مشاعر فياضة لما فيها من جمال يبهج
النفس وفكري جبيلة تولد فيها اشد الاشواق والحنين

العامر ، كما حدث « لميسون » زوجة « معاوية »
فضلت حياة البادية على قصر الخلافة الزاهي ،
وكلاهما على القطط الاليفة ، والبعير البكر على البغل
الجميل . وكل هؤلاء عباد حياة الراعي — في ابياتها
المتداولة ، منها :

ليبت تخفق الارواح فيه
احب الي من قصر بنييف
وكلب ينببح الطرراق دوني
احب الي من قط السوف
وبكر يتبع الازعمان صعب
احب الي من بغل زغوف

وهناك الكثير من الشواهد التي توضح ان الشعر
العربي بدأ رعويا في طابعه العام ، لم يقصده الشاعر
لذاته فيخصص قصائد في التغني بالرعي والمراعي ،
وانما يأتي في ثانيا القصيدة والاخرى ، في شكل تائري
عن الحياة ، كابييات او الفاظ متداخلة . اما العصر
العباسي والاندلسي فكان التأثير الحيواني اقل لتطور
الحياة وطغيان المد الحضاري عليها ، فدخل في اطار
الحنين والوقوف على الطبيعة من قبيل الاستمتاع
والفكرى .

والناظر ن ادب الرعاة لم يتعد من الشعر ، وما كتب
من اخبار وحكايات حوله ، انما يتحدث عن حياة البادية
عامة ، هدفه التاريخ والامتناع . اما العصر الحاضر
فكان اوسع الاشارة الى قصص وأشعار ، وهي وان
كانت شائعة اكثر من اقتصرها على حياة الرعاة ،
فالجانب الرعوي فيها بارز وخاصة الشعر .

الشعر المعاصر :

لقد تناول الشاعر العربي المعاصر على امتداد
ومنه العربي بالحديث في شعره حياة المراعي والرياء ،
وحياة الريف ، واورد لها قصائد تصورها في اربعمة
اساليب ، اما متابلا ومتشوقا ومعجبا بالمشاهد الرعوية
الخلابة ، وهذا متصل بشعر الطبيعة من حيث وصف
مناظر المرعى الطبيعية واختلاف المشاهد نحوها . او
يجمل من الراعي وحياته رمزاً ينتقد على ضوءه الواقع
الاجتماعي والسياسي والفكري ، او المجتمع العربي مثلا
فعل شعراء المهجر . او يصور حنين الراعي لمراعيه
وكراهيته للبدنية ، او حنينه هو الى الحياة الريفية
لسايم من المدينة ، والشاعر يعتمد على الواقع المباشر
لحياة الراعي فيتناول جوانب منها . واما يتناول اسطورة
عن الراعي العائش المستهمل ، المترواح الفؤاد ،
المسلوب الحبيبة ، والحبيبة تكون تارة انسانة سوية ،
وتارة رمزا الى الارض ، وثالثة الحرية التي يطمح اليها
الشاعر ، ويتبع بها الراعي .

تركتني غارقا في حلم

ضاحك الاطياب رفاف الجناح

هات من لحنك يا راعي القطيع

قد نفى لحنك عن قلبي الحزن

هيه اتي ما تغنيت سميع

وسامضي شاكرا هذا الصنيع

ذاكرا لحنك مفتونا به

ان في ذكراه روحا وسكن

يكاد الشعر المجري يستائر بالاحتفاء بالشعر
الرغوي يعرضه في معاني رمزية مقارنا بين حياتي
المراعي والمدينة ، ويصبغه غالبا بروح الغاب ، المنتقلة
في الظلم والمعدوان بين حيواناته . وهذه النظرة متأثرة
بنظرتها الى الحياة ، وحياتهم في الغربة ، ودوام الغربة
واثارها النفسية عليهم . وقد ظهر ذلك في بعض نماذج
اشعارهم عند « جبران جبران » و « الياس فرحات »
في ديوانه « احلام الراعي » يتند فيه المجتمع العربي في
ثوب رغوي .

يحدثنا عن يوم من حياة الراعي بين اغنامه وكلبه ،
ولكنه بعد ان تفرقت اغنامه بين مروج المرعى الخضر
التي تخيرها لها يعيش في حلم يفسد في سخرية الحياة
في محاوره مع كلبه المسمى « الفضروف » فيخاطبه
مغافرا :

ما انت يا غفروف من مقامي

فلا تحاول العلى امامي

اني واخوتي من الانعام

سادة هذا الكوكب الدوام

بالعلم سدنناه بالاقدام

فهو نلول قيد بالزمام

ونحن منه في نرى الهام

وانت والاخوان في الاقدام

نحن بني الانسان الهة صغار

تكشف بالعرفان غوامض الاسرار

فرد عليه الفضروف في استهانة :

وقال : خل السدين والديانا

وخل عنك الزور والبهتاننا

ثم يفند دعواه بان علومهم قد جاءت بها الاخبار ،
والدراهم جاءت بالشر ، ورياض تحنها البراكين وهي
كلها :

مطامع تجعلكم عبدانا

بعتم بها الضمير والوجدانا

ان الرقي الحق والعرفانا

ما يملأ الضمائر اطمئنانا

لا ما يشر الشر والمعدوانا

فاستوعب الوعظ وكن يقطانا

على هذا النسق جرى الشعر الرغوي المعاصر ،

تجسج تلك الاساليب في قصيدة او تتفرق في قصائد .
واشهر قصيدة رغوية عربية حديثة تبذل ملامح من
الصورة العامة للشعر الرغوي وخاصة الاوليين هي
« من اغاني الرعاة » للشاعر « ابو القاسم الشابي »
التي يحفظها تلاميذ المدارس . صور فيها الحياة الرغوية
في ثنائية متاعل شعري ، ففي الاول : الفجر وترقب
الراعي والشاعر له ، والثاني : دعوة شياحه الى
التحرك نحو المرعى ، والثالث : يصف مكعب الراعي
واغنامه وهم في الطريق الى المرعى ، والرابع : يحذو
لهم ، والخامس : يصف المرعى ، السادس : يتحدث
عن حرية المرعى وحرية العيش فيه ، السابع : يقارن
بين زمان الغاب وزمان الناس ، اما الاخر : فيتحدث
فيه عن العودة . يصور ذلك في الفاظ رقيقة عذبة
يتخيرها من الموضوع فتعسفي عليه جمالا ، ونعما بديعا .
لما اخذ يتحدث عن حرية المرعى ، دعاها الى المرح
ما تشاء في الوادي او فوق التلال ، والى ان ترضي في
ظل اعشابها الوارفة ، وتبغض الاعشاب والامكار :

وامرحي ما شئت في الوديان او فوق التلال

وارضي في ظلك الوارف ان خفت الكلال

وامضني الاعشاب والافكار في صمت الظلال

واسمعي الريح تغني في شماريح الجبال

وذلك لكون الحياة في الغاية هادئة واطمئنة ، اما حياة
الناس في المدينة فكثها عبوس وتكلف :

لن تبلي يا خرافي

في حصى الشاب الخليل

فرمان الشاب طفل

لاعب عذب جميل

وزمان الناس شيخ

عابس الوجه ثقيل

يتعشى في ملال

او فوق هاتيك السهول

والشاعر « محمود الخفيف » يعجب وينتشي لمنظر
الراعي في الحقل ومعه اغنامه يردد اغنامه الشجيرة
التي تثير في نفسه ذكرى روح وسكن :

راعي في الحقل انشاد بديع

والندى يغسل اجفان الصباح

فقطلت الى راعي القطيع

قد شجاه حسن اقبال الربيع

وتبتت روعة الكون له

نفقتني في هيام وراح

مكتني اذ تغنى نشوة

وتنزت في سوادي صبوة

أما أسلوب الحنين إلى المرعى من قبل الراعي ،
لعدم تأقلبه في المدينة وكراهيته لها ، لما يشاهد من
اختلاف الحياة ، لانه اعتاد الجبال والأراضي الخضر ،
والماشية ، والغناء ، في ظل الهدوء والانطلاق ، وحين
وجد المسبخ والزحام وبسائل المواصلات الغربية
عليه ، إلى آخر مظاهر المدينة ، يهرب عائدا إلى صحرائه
بشتاقا إليها . هذا النوع من المشاعر صورها الشاعر
« سعد البواردي » في قصيدته له بعنوان « جنة الراعي »
وان كانت ضمنية فنيا ، وضع لها مقدمة « قالت له أمه :
اذهب يا ولدي إلى المدينة لتعمل هناك ، ولارعى منك
الغنم .. وذهب إلى المدينة الملوثة ضجيجا وزحاما
وتصنما ... وما راقته المدينة ببظايرها ... ولا راقته
التاجر بجواهرها ، وانما عاد إلى أمه بعد أيام معدودة ،
كان يلتقي بأه من جديد وسط بيوت الشعر لتحدث لها
عن المدينة .. وعن جنته التي أحبها .. وحن لها فعاد
اليها .. !! » . وهي تبين دواعي العودة ، والفجائية ،
والشاء ، والوادي الجميل ، وسكرة الاقن ، والمزينة
السوداء ، كل هؤلاء أدنى إلى طلبه مما رأى في المدينة ،
فقد ولد على الشئط والجوع وسهولة الحياة :

ولدت في الدنيا بسيط الردا
فما إلى « الأشباح » قلبي يميل .. !
وجدت في الدنيا طليق الهوى
لما نزل الحادي .. فؤادي يميل .. !
طشولتي ، وفي شبابي سوى
كلاهما لحرب حقيقي سبيل
ان كان قصر في السما شامخ
« فخيمتي » السوداء قصر أثيل
او مركب باهي به أهله
فناقتي الحمراء نعم الحمول
وان رعى غيري « عقود » الكرا
فالشاء « عقدي » في المراعي جميل
وبعد أن قارن بين الحياتين ، تباهى بتواضعه
وشجاعته ، وقهره للشوك ، والذئب ، والأسد :

والأسد ان طافت على ربوتي
راحت بعيدا .. وهي عني تقول :
« لا تقر به » انه فارس
قد طوع الاسد ببأس أصيل
هذا ، أنا الراعي .. وذي جنتي
هل تعرفي « أماء » ماذا أقول ؟!
وأخيرا فهمت أمه مراده ، فتركته يعود لشبابه
وشبابته .
أما الراعي العاشق صورة يعرضها الشاعر عن
الراعي كاتسان يجب ابنة عمه ، أو سواها لكنه لا

ويبقى من حله وقد آمن بفلسفة الكلب ، أو اقتع
نفسه بنفسه :

لبثت في منامي
في حيرة المرتاب
اسأل عن مرافقي
فلسفة الكلاب
هل نحن في تسام
هل نحن في الصباب
هل نحن أرقى ؟ كلا
بل كنا سواء

وفي قصيدة « سلام الغاب » لا يزال مع شياحه
وكلبه ، غير انه يفاجمه ذئب روعها ونفرها ، فاستصرخ
بالكلب ، فاجاب ، وجال وصال مع الذئب حتى قتله ،
ولم اغناه المروعة وانتقل إلى مرعى آخر وهو يقول :
لم اهجر الدن إلى الضياع

الإحتراس من ذوي الخساسة
فلا يقاس الفرق في السباع
بالنوع بل بالفرد والشراسة
ولم يلبث ان انبرت له « نعمة » تسالها معترضة
على قتل الذئب ، فاجاب بأنه يدافع عن حملاتها ويحميها
من غدره فغضبت عليه وقالت :

نتهم الذئب بالحملان
وانت اضرها واقسى عملا
يا ايها الجاني ويا ابن الجاني
يا منكلي في كل عام حملا
الذئب لا يسطو اذا لم يجع
وانت تسطو جائعا ومنخما

وعند غير شعراء المهجر ، تلبس الفكرة اطارا
رعويا ، كالمعمودية والاستذلال ، والتسخير في مصالح
الغير ، ولعل « أحمد سيد محمد » يشير إلى السخرية
من كلبية « بدو ورعاة » في قوله :

يقولون عنا عبيد عبيد
وكيف نفني الهوى والشباب
وهل لمعييد كائنا

قلوب تحلق فوق السحاب
لسنا أجيرين نرعى الشياه
يداننا وما ملكت والتراب
لسنا نعد لأثرواتهم
كعذي الضياع وتلك القباب
ومن دنا يشرون الحياة
نعيمًا ونلصق مر المذاب
ثم يتحدث ويابل :

اتي وانت وكل الرعاة
سنصيح آمال شعب بطل

ينالها لسبب اجتماعي ، فتتزوج من غيره ، فيفقدوا ، ويعتوره من الجنون عند « شقيق الملعوف » مثلا :

بالامس قالوا له : حبيته

زفت اليها الحللى والذهب
فلم ينم ليلة ولا انطبقت

حتى على طيفها له هذب

انى مشى في الحقول لاح له

جفن ووشم ومبسم عذب
فاقتعد الصخر نائرا قلعا

وراح يهذي ودمعه صب

واصبح مشرد الفكر ، يغص نايه بما يجيش به
فؤاده :

كانها الجرح جرح مهجته

كان على نايه له نقب

فالنأي لا يتالي على فيه

يعب به قلبه وينتخب

وكذلك الراعي المشدود بالجمال ، صاحب المشاعر

الرقية ، والاحساس الرفف ، كالذي فاجاه حسن

الحورية ، فاوله ، فبات دعهشة ، حايلا لهيب السمر ،

في ابيات « احمد محمد الخليفة » الاسطورية :

فرنا ذاهلا فشاهد جسما

لفتاة حسناء حول الفدير

قال من انت ربة ام ملاك

هبط الارض في الربيع الضمير

واذا بالاكوان تهف من بعد

بصوت يهز صم الزهور

تلك حورية اتت للروابي

في شغوف من الصباح المنير

راعه حسنها البين فاضى

عاجزا نطقه عن التعبير

فهوى ميتا على ضفة الماء

وفي قلبه لهيب السمر

ملاحم عن الراعي :

لا يختلف الراعي عن سائر اهل البادية في مظهره

العام ، وطريقة معيشته ، فالصحراء موطنهم ، والخيمة

منزلهم ، وتقاليد البادية تحكمهم .

غير ان هناك فروقا مشتركة بينهم ، تفرق عليهم ،

وتجتمع في الراعي ، يمكن ادراكها من خلال الشعر

الرعوي ، فهو يشير الى خلقه ، وعاداته ، وهويته ،

ونفسيته .

فالراعي حرة يمتلئها الرجل فترة من حياته او

طوالها للاستزاق ، او عادة يتولى البدوي من خلالها

الاشراف على ماشيته ، والراعي غالبا ما يكون رجلا ،

وقلها يكون امرأة ، كان تقوم برعي ماشية قومها ، او

تتعاون مع زوجها فيها يخصهما ، او يوضع لديهما بجعل

معلوم . وقد يكون عبدا اسود ، اما مستجرا ، او

مولى ، او مملوكا ، ورعاة الانسان غير الرعاة الاابل ،

وساسة الخيول ، في القوة والشجاعة والدراية .

يجتمع فيه الرضا والقناعة ، والبعد عن الرياء ،

الى جانب البلاهة والبلادة وعدم القدرة على التصرف

الحسن في غير شؤون الرعي ، كحديث دريد السابق

« انها هو راعي ضان ما له وللحرب » الا ان من الرعاة

من كان خلاف ذلك كمتنرة العيسى الشاعر المحارب .

وهيته يبدو عليها الاهمال ، رث الثياب ، حاني

القديم احبانا ، يشبه به من يتصف ببطل صفاته كتول

عمر بن الخطاب رضي الله عنه « كانه راعي غنم » .

يستخدم معه جارا متواضعا لحمل زاد ، وماء ، وعماء

وشبابه ، وبندقية ، يقضي يومه بين اغنامه مستغلا

بشجرة او مفارة حتى مغيب الشمس فيقتل عائدا الى

ماواه مع اغنامه .

وقد اشار الشعر الرعوى الى شيء من ملاح

الراعي ، وجوانب من شخصيته . كما فعل الشاعر

« محمود الخفيف » ملهما عن حياته وخلقته وطبعه :

بصبح الراعي طروبا شاديا

مطمننا ليس يدري ما الشجن

وتراء حين يمسى راضيا

في ظلام الكوخ يغفو ناويا

ناعم البال قريرا امنا

هادي الضجعة ريان البدن

لم يكدر صفوه حرص ولا

شهدت جفنيه اطماع الحياة

لن تراه نائحا يوما على

امل فات ولا تصبو الى

ما طواه القيب في احشائه

حسبه الله فلا يرجو سواه

ملهم ركب في فطرته

حب ما في الكون من آي الجمال

تسمع التسبيح في لهجته

وترى الاعباب في نظراته

ساذج الاحلام الا انه

صادق الوجد مشبوب الخيال

كما ابان من صفاته القناعة ، ورضا النفس بامائه ،

وطهارة القلب :

يا قنوعا ملئت عيشته

عيشة الانسان في فجر الوجود

يا خليبا انسسه وحدته

ايه يا من برئت فطرته

المراجع :

- ١ - لسان العرب مادة « رعى » .
- ٢ - المعقات العشر ، طبع بيروت .
- ٣ - الموسوعة العربية الميسرة .
- ٤ - احلام الراعي - الياس فريحات .
- ٥ - اغاني الحياة - أبو القاسم الشابي .
- ٦ - ذرات في الاق - سعد البواردي .
- ٧ - قصائد مخفنة - ترجمة : يوسف الخال ، ١٩٦٢م .
- ٨ - المنتخب من الشعر الانجليزي - ترجمة : عبد الرحمن بشناق .
- ٩ - نظرية الادب - ترجمة : حسن عون .
- ١٠ - ادباء من الشرق والغرب - عيسى التاعوري .
- ١١ - التربية الموسيقية - منهج البحرين .
- ١٢ - مفكرات مدرسية .
- ١٣ - اخبار الخليج - جريدة - البحرين - ع ٣٩٠ س ٢ .
- ١٤ - الزهور - ملحق مجلة الهلال - ع ٦٤ س ٣ .

قريباً

يسر كتاب

قضايا
تربوية

للدكتور محمد الميرغني

من غرور العيش في زخرفته
يا طليقاً ما درى معنى القيود
يا نقي القلب في عزلتهم
لم ير العالم في زحنته
هات من لذك ما يطربني
يا غريباً انت بالبشر خليك
يا راضي النفس في ايمانهم
نعمت نفسك في ظل رضاهما
ايه يا من قر في وجدانه
من هدى الله ومن رضوانه
ما ترنمت به في غبطة
فطن القلب اليها فوعاها

الراعي في ادب الاطفال :

لقد اثارت حياة الراعي وشخصيته اقلام الادباء ، فانخدحوها مادة يصوغون منها الحكايات الطريفة ، والانشيد الجميلة للاطفال ، وركزوا على طابع سهولة حياته ، ويسعدوا عن التعقيد ، وحياته بين اغنامه وشبابته تسليمة للطفل وتهذيباً .

فاذا تنبعنا ما خرج من قصص وانشيد للاطفال على مستوى الاعمار لوجدنا الكثير سواء في مؤلفات مستقلة ، او ضمن الكتب المدرسية ، ككتاب « القراءة » تتكرر فيها حكاية الراعي والذئب وعاجية الكذب ، ومادة الانشاء العربي ، والتربية الموسيقية من الفاهج المدرسية تجد فيها امثال انشودة الراعي :

من بعيد لاح للعين خيال
هل ترى يسمى الينا كي نراه
ذلك الشادي مشى بين الظلال
انه الراعي تهادي في خطاه
كلبه من خلفه
والعصا في كفه .. الخ

اما مكتبة الطفل العربي فقد حظيت بمثل قصص : « الراعي الابين » و « راعية الارز » ضمن سلسلة محمد عطية الابراشي لن هم في الثانية من العمر فاكتر ، وكذلك قصة : « الراعية الصغيرة » في سلسلة باشراف ابراهيم عزوز . و « حسناء المرعى » في سلسلة من تأليف : محمد أحمد برانق . وهذه القصص وسواها يعرضها مؤلفوها بأسلوب « يمتزج الخيال والواقع » ، لتأتي بزيادة من المتعة والسرور مع الحكمة والتهذيب في اسلوب سائغ وصور غائنة كما يذكر عادة على غلاف بعضهم .

عبد السلام عبد الله العبد السلام
الاحساء - السعودية



شعر:
ناظم حكمت

ترجمة:
احمد محمد عطية

لا يابه بالخطر
لا القارب يلهيه
لا الموج يزرقه
لا الماء ...
المتشقق
الهدار

القارب صمدا يعلو
القارب يهبط بمعد
عن ظهر جواد يهوى
يعلو متن جواد يجري
مشدود الاربع للريح

الريح المجنونة كالاعصار
تسوى للبحر
ترمجر في اصرار

اياك احذر يا ريان
الخرز الجبار يناديك
احذر
حبل الخرز الاعميب
لا تسخر بالموج وبالريح
الريح الشيطانية
قد تفريك
اياك احذر
يا ولدي

اماه دعيني للبحر
دعيني للريح
ما هم الريح
وما خطب الامواج
اياك اذكر يا اماه
من ولد في حزن الخزر
فسيدفن في قلب التيار
لن اربح اعماق البحر
ولا الاعصار

القارب يصعد للافاق
القارب يهوى للاعماق
القارب يهبط بمعد
القارب صمدا يعلو
يعلو
يعلو ..

احمد محمد عطية
— القاهرة —

مشدود الاربع في الريح
النوتي التركماني
يجلس عند الدفة
قرفص فوق السكين

« القليق » يحجب عينيه
ضخم اسود كالعمية
خروف مبتور البطن
غزير الصوف
مقلوب الوجه
فصل الصوف ترينه
كالتروس
تتلى ذهبا

من اطراف الرأس
القارب صمدا يعلو
القارب يهبط بمعد
النوتي التركماني ..
كنتمثال
بوذا !!
صلدا يجهد كالتتمثال
قرفص عند الدفة
البحر الفاضب يحكمه
يطويه
لا يصرحه

ابدا لن يخضع للخرز
قد امن مذ امسك
بالسكين
هو بوذا
صلدا .. اصبح كالتتمثال
عيناه الى الافق
لا ينظر للريح

من الافاق الى الافاق ...
جيشا جيشا ..
امواج الخزر الهداره
بالصخب تمولج
والبحر الهائج يا حلوة
يشدو للريح
يحجم للنسيات
تحذنه الريح
بالسنة الريح بهيج

من قال البحر الصامت
اخرس لا يشدو
اعمى كالجسد الميت
الخرز المالح عريبد .. وبعيد
بعد الابدية

اوله مجهول
ونهايته دون نهاية
مفتوح الابواب
صديق الامس يداعبه
وعدو اليوم يماشيه

امواج تملو مثل جبال
امواج تهر كالاغصان
والقارب فرق الموج
يتوثب مثل غزال
القارب دلو في بسر
القارب يعلو كالقمة
القارب يهوى

في اعماق الظلمة
عن متن جواد يهوى
يعلو متن جواد يجري
منتصب الصدر على الموج

اشارات أولاً في القصة العراقية المعاصرة

”هموم قصصية“

أحلمتة الخامسة

بتم: عبدالستار ناصر

اثر له وقد صدرت الى السوق الاف الكيلوغرامات من

الورق الابيض الجميل ؟

تتعد على خارطة الادب العاليه ، شرقا وغربا ،
نجاحات واولاه وقصصية وحتى شعريه جد كثيره ، من
حياته القري والارياف والبقع الخضراء المنشورة على
وديان وجبال ايها وطن .. يكون فيها البطل الريفي تحت
عيون القراء ، بكل طموحاته ومشاكله ، بكل حبه والامه ،
وصارت الهموم الفلاحية محورا يدورون حوله ، لتسليط
وعى القاريء على جزء حيوي من حياة فئة عظيمة من
الناس .

انت تقرا « الدون الهاديء » ستون لفظة نطقت
بلسان (ميخائيل شولوخوف) ومائة وسبع وسبعون
طبعة من كتاب واحد ، واكثر من ثمانية ملايين ونصف
مليون نسخة .. كلها تحمل عنوان الرواية التي حكى
حياة الفلاحين ابان الحرب الاهلية في روسيا .. والتي
كسبت ثقة ادبية عالية بفوزها بجائزة نوبل ، لتقف الى
جانب الاعمال الروائية الهامة ، ذلك ان شولوخوف عمل
تاجرا للماشية ومزارعا في ارض اشتراها من التوزاق ،
وانشاء الحرب عاشر في منطقة الدون الزراعية فعمل
جائبا للقمح واسبس لنفسه ثروة فكرية اذ اسهم في
مطاردة العصائبات التي حاولت ابتزاز خيرات الدون ،
وتجارب اخرى كلها ساعدت على تأليف « الدون الهاديء »
في ١٤ سنة من حياته ، لتكون عطاهه الفكري الكبير لكل
القراء في كافة ارجاء الارض .

يقول بوريس بروسوف :

— ان ذاتية الفنان هي ، قبل كل شيء ، موهبته .
والموهبة متنوعة واصيلة دائما ، اما انماهم الموهبة فهو ،
في جوهره ، متشابه ، وان كان بدرجات متفاوتة ، وعظيم
الموهبة هو من كان خالي الوفاض ، التاجر اعن قول
كلمته الخاصة وبطريقته الخاصة ، ولذا يخفني وراء
(العام) .. ان انعدام الموهبة في الادب وكذلك في النقد
هو ، قبل كل شيء ، مقاعد عالية ، يشبه احدها الاخر
حتيا ، وهي عالية لهذا السبب ، اي بسبب انها تعود
للجميع ولا تعود لاحد (١) .

كثرت الاراء النقدية ، وتنوعت ، بحق القصة
العراقية الجديدة ، اخطأت حينما من حيث توهمت الصواب
واصابت حينما من حيث ارادت التجريح .. اننا ، دون
شك ، بحاجة حقيقية وعاجلة الى النقد ، واننا ما زلنا
نفقدها الى الناقد الكبير الذي يعي مهمته ويفهم حاجته
قصتنا الجديدة الى حذف ما هو (عام) كي يحدد لنا ما
هو (جيد وموهوب) فيها ، فقد كثر الحديث غير المسؤول ،
كما تزايد عدد المقالات والهوامش والمراجعات
— الاخوانية — والدراسات — المشتراة — لتؤكد على
عيوب اخرى ما زالت تلاحقنا حتى الان .

لنبدأ هذه الحلقة ، بالسؤال عن البطل الريفي في
القصة العراقية ، اين هو في عشرات المجاميع القصصية
من سنة ١٩٦٧ وحتى اخر ١٩٧٧ ؟ هل ثمة رائحة او

الذي غالبا ما يكونه (المؤلف) نفسه .. وبالتالي :
الانتقال الى عيش التجربة فعلا .

كانت هذه الظاهرة قد شملت أغلب كتاب القصة ،
وكان واضحا هذا الانتقال الى القصة الرفيعة لدى التقاد
والقراء والمتابعين ولم تمتلك القصة العراقية الا عددا
لا يكاد يذكر من الافلام ، التي انفجرت مع الريف وكتبت
عنه ولكن بعد محاذير كثيرة ، بيد انها استطاعت باجياز
— يساهم فيه الخوف — ان تعطي ويتواضع ما تلك من
فهم ومعرفه لطبيعة النفس الفلاحية مع شيء ليس بالقليل
من اخطاء ابداعية وقعوا فيها ، كان اولها عدم استيعاب
ونهم طموحات وامال الفرد الريفي ، كما انهم اهتزوا
عند الكتابة عن مدى امكانية سحب الشخصية القروية
الى طموحية التحليل النفسي لذهنية البطل ، لانهم اساسا
— اي الكتاب — قاصرون عن وعي دواخله التي لم
تضاهي التجربة الفعلية !

ولهذا السبب تجد العمل القصصي عن الريف
معمّدا — في احيان كثيرة — على السرد التقريري ، خلوا
من الابداع ، يحاول القاص ان يقول ما لديه من معلومات
تؤكد للقارئ ان لديه ما يكفي من الاثلة على استيعابه
الحياة القروية ! .. حتى ان قسما من كتابتنا تاتروا
— ثلثاها — بما لدى الريف العربي ، والبطل الريفي
المصري خاصة ، بسبب الكتب الكثيرة والافلام الجيدة
على طرفها والمسللات التلفزيونية التي وفدت الى
العراق كجيتات وافرة ، فوضعت الكتاب دون وعي منه
الريفين ، وقد اصبح (الوعي المراقب) لهذا الفارق
مهدوما او ملغى بمرور الوقت ، وبزيادة الانغمار في هذه
الكتب والافلام وسواها .

لكن القصة العراقية ، قد تبتى — والى وقت
طويل — خائفة من ولوج هذا العالم المتميز بالبساطة
والعفوية ، قد تبتى قصتنا خائفة حذرة من الدخول الى
حياة الفلاحين ورمص الكيان الفلاحي ، لان ما نعرضه
بوضوح — ان كتابنا مستلبون الى المدنية ، مأخوذون
بها ، وقلة منهم عاشوا في الريف ، بيد ان المدينة اخذتهم ،
بل جرّتهم الى شوارعها بلباقة ، واغراء ، حتى باتت
البطل الذي نتحدث عنه : برجوازيا على طول الخط ،
متأنقا (بالثقافة) حد الغباء ، ودائما ثقافته بدون منازع ،
كانه يحارب بقية الإبطال في قصص أخرى يكتبها زملاؤه
القصاصون .

ويبدو ان الحال كذلك فعلا ! .. اقرأ على سبيل
المثال كتاب احمد خلف ، عالية مدح ، لطيفة الدليمي ،
يوسف الحيدري ، حسب الله يحيى ، جليل القيسي ،
مي مظفر ، ومعظم قصص عبد الرحمن مجيد الربيعي ،

ان ذلك وحده يجعلنا نتساءل — اولاً — عن
درجة الاخلاص التي نحسها في ادبنا ؟ وعن مدى الصدق
في توهيننا وصراختنا ، ورفغتنا في المعاء ، الذي يكتل
لنا القناعة والرضا عما اعطينا . وليس من الموضوعية
— وهذا ما سيغال حتماً — ان اثارنا هكذا ، بين ادباء
واذبح العالم وادباء واذبح العراق ، بيد ان ذلك يصبح
ممكنا دون شك في حدود التباهي والادعاء اللذين يمارسان
علنا او يمارسان تواضعا وسرا .

منذ الزمنة ليست بالقريبة : (كم جيلا ادبيا سيئناه
باسمه وكم جيلا فات ولم يذكر ؟ وكم جيلا كتب علمين
او ثلاثة اعمال جيدة ، ثم اكنفى بوجهه الاجتماعي
الذي يضمن له كرسيا معقولا يراتب معتدل ؟ وكم جيلا
راح يهيجس لا جدوى الكتابة فما اسنده احد ، ومات
فعلا ؟) .

ذلك كله في جانب ، وفي الجانب المنسي من نتاجنا
القصصي قد تتساءل — بحزن ايضا — وغير كل الاجيال
الادبية المنصرمة في العراق : لماذا غبن الكتاب حق البطل
الريفي في الرواية والقصة القصيرة ؟ الا فيما ندر من
الاعمال السااذجة المسكينة التي ظهرت ولم تعط اي
شيء ، لانها لم تقل اي شيء !

لقد قرأنا — في السنوات العشر المنصرمة — عددا
كبيرا من القصص القصيرة واعتدنا معها على ملامح ثابتة
لبطل ثابت ايضا ، حيث المدينة بشوارعها المليئة وبارانها
المتناثرة ، ونسائها والحيالات ، حيث العلاقات الجاسمية
المجزوءة والبطل الذي هو دائما : تلميذ ، مدرس ، عامل ،
موظف ، وغالبا ما يكون — ملتقا جدا وباتفاقا —
او سوى ذلك من الوجوه التي تنحصر في حدود المدينة
وبين حدود ثقافية تنقف على بعد فائق من الريف ورجال
القرى ونساء الارياف ، ناسية عن وعي او دون وعي
البطل الريفي الذي انتقدوا ان تنقف على فبته وتركه
تباها ، بحجة اننا بعيدون عن هذه التجارب — التي
يسموها فيها بينهم بالتجارب الكثيرة غير المشجعة —
ما جعل الناقد لطبيعة القصة العراقية الشابة يتحسس
ويليس — من اول وهلة — انفصالها وشلها ويمدها
غير المبرر عن الريف الذي تعرف جيدا عمق خصوصياته
ونزوعاته وتجاربها الفنية .. بل وتدرك تاريخه وجذوره
التي تمتد بعيدا جدا ، وبالتالي تدرك ايضا خصب عملية
الكتابة عنه ، وربما صعوبة الكتابة معه .

كل هذا لا وجود له .
والبطل الريفي في القصة العراقية ، كان الى
وقت متأخر شخصية طارئة يزجها البعض فعلا في
اعماله القصصية بأشكال ساذجة لا تحتل الرصد او
حتى لذة المتابعة كان في نية هذا البعض ان يتخلص من
تهمة الانفراد بهذا البطل الثابت (المثقف) مثل قابوس ،
وربما من تهمة الانزلاق والالتصاق بالبطل المتسدر

موسى كريدي ، جمعة اللاهي ، برهان الخطيب ، محمد عبد المجيد . وعيد السنان ناصر .

ولم تتبين القصة في محطات وقوفها واستراحاتها الزمنية أي ارتباط جديد بين هذا البطل الذي اقترب إلى (الدمية) وبين البطل الريفي المنيون المنسي بين الناس والمساحة ، بين التاوهات التي نسمعها يوميا في الغناء الريفي الحزين ، الذي يذكرنا — بين تارة وأخرى — أن ثمة أبلا متروكين في مكان آخر لم تصل إليه القصة بعد ، ولم تفكر فيه العقيلة المبدعة — المدعية ، المغلفة في شوارع المدينة .

تري ، هل ثمة ما يمنع القصة من ادراك هذا الغشاء الباهت الذي يفصل الأهلين — الريف ، المدينة — وهل سيبتى هذا الغشاء الهلامي مثل باب يفصل انفساننا في حقيقة الطباع والعادات والانكار والطموحات والايهات التي يعيشها الريفيون ؟

انها لمهمة شاقة ، ولكن من يريد أن يكتب في هذا المجال عليه أن يمي أولا « الى أي حد يريد أن يمارس هذا القمع الجميل ؟ هذا القمع المبدع في قراءة الوجه والروح والكيان الفلاحي ؟ » كي يكتب عندها بهدوء ، وربما بتواضع كبير ، أن أمكن !

نعم ، القصة العراقية — ما زالت — في أزمة . ترى لماذا تعلنا التوبه في ايجاد وجه جديد لها ؟ مع انها في احسن ما اعطت لم تستطع — حتى الآن — تجاوز حدود القصة في الخارج . انها لمبة طريفة فيها القاص والناقد معا ، حتى بات أمر تطويرها في حكم النكتة ، فإين مكانها الحقيقي في هذه الزحمة من الجلات والكتب والغالات اليومية والنوافذ المنيوية ؟

على مدى صعوبة هذا السؤال ، وتطرفنا به — ربما — فهو كما يبدو ناتج من هذه التراكمات غير المدروسة فيما يطرح اليوم في سوق الادب العراقية رغم الاغلة المبهلة البراقة ، ورغم تطور الطباعة ، انت ترى اساءة تتوالى كل يوم ، برعاية وبذخ واهتمام لا حده ، دون أن يكون نتاجها ذا أهمية ، ومن قال أن القصة القصيرة لمبة سهلة يشرع بها كل من يريد ؟

إذا كان الامر كذلك ، فقد صارت القصة مجرد سباق باثر يدخل صاحبه كل من يشاء ، ويستطيع حضوره كل ذي مال وجاه ، تاركا الموهبة عند الباب ، لا شأن لاحد بها ولن تعني أي شيء .

تري من اين نبدا العلاج ، من أجل أن نكون أكثر وفاء لمستقبل قصتنا وتعزيز مكانتها بين القصص العربية والعالمية ؟

يقول أحد النقاد : « ان النقد دائما يأتي استجابة لمستوى الحياة الاجتماعية ، ولا يزال مجتمعنا في بدء

التحول ، وهناك علامات تشير الى استجابة الناقد لمستلزمات هذا التحول » ..

تري ، هل نضع أبسط الظواهر واسهلها على الفهم خارج مهمة النقد ؟ وهل يجب أن تفصل بين معاناة القاص الاجتماعية والسياسية وبين مطالبته أن (يكون) صادقا في بؤرة هو فيها تحت ضغوط وتشديدات حادة ، وهل يستوجب على الناقد — رغم ذلك كله — أن ينتظر مزيدا من التحولات كي يكتب ! .. حاولت ، مع بعض النقاد ، أن انهم ما الذي يفسرون اليه ، وفي النهاية كنت انتظر (منهم) المزيد من (النقد) أملا في جواب جديد على حقيقة أزمة القصة ، وما زلت انتظر ، دون جواب .

لا أحد ينكر أن عيوب الواقع الثقافي كثيرة ، ومع القصة القصيرة كانت الميوب أكثر .. مضامين متشابهة أو تكاد ، أشكال فقيرة لا تعني أي شيء ، حتى أن بعض الاصقاع ينتقدون أحيانا على بعض الكتاب بقولهم :

— نستطيع أن نكتب قصة — صالحة للنشر — مجرد أن تأخذ أسما غريبا ، معبرا ، لبطل غريب ، لا

يتم بصلة لجوهر الانسان ، وتتركه يمشي في الشارع أو يجلس في مقهى ، يثرثر ويفكر ما شاء له ، واكتب على لسانه بعض ما قرأ لسائر أو كافكا ، وعلى أن يحس بالثغيان من العالم الذي يحيط به ، وليس عليك سوى انتظار (النقد) بيكيات وافية !!

وكلام كهذا ، وهو أكيد ومكرر ، ليس الا دليل واحد من أدلة أخرى على ضيق المساحة التي يكتب فيها القاصون . وألا ينحصر لنا تجاوز هذه المساحة ، ذلك يعني أن نخرج بقوة وأن نقرا بصديق وأن نكون (نحن) انفسنا ، كي نكتب عندها قصة قصيرة ، حقيقية ، حتى لو كانت (غير صالحة للنشر) باللغة الرسمية والوظيفية! قد يكون من الصعب تحديد موقع القصة العراقية القصيرة من القصة العربية ، ولكن الشيء الذي لا ينكر — رغم ما اورده سابقا — انها استطاعت رغم حدودها الصعبة ، أن تتسلل الى الخارج وتفرض حضورها على يد البعض من كتاب القصة ، وهم ، حقيقة ، ميلة نادرة في سوق القصة المعاصرة ، اساءة قليلة جدا ، وهوم كبيرة جدا .. وخارج وجود هؤلاء تبقى القصة العراقية مخلقة على نفسها وعلى نفس نسيجها السابق ، على نفس رموزها في الجنس والسياسة والدين ، وسوى ذلك .. تراوح في مكانها ، تصالون أن تحقق بعض التخطي لركودها القديم ، ولكن ، تأتي هذه المحاولات — لسرعتها وحدتها واستعجال نشرها — مهزوزة ومتعبية !

أرى ، هنا ، أن المحاولات القصصية في بعض الدول العربية ، تأتي أكثر جراءة وأكثر فنا وتعبيرا لاعتبارات كثيرة أهمها النقد الجاد الذي غطى تلك المحاولات في أول نشأتها ..



ضابط
الصف

بريشيبف

بقلم الكاتب الروي: انطون تشيخوف
ترجمة: احمد فارس

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— ضابط الصف بريشيبف ، انت متهم بانك في الثالث من شهر سبتمبر الحالي اهنت باثواك وعملك كلا من الشرطي جيكن والعريف اليايوف وايغيبوف ، والسيد ايفانوف ، وغافريلوف وستة فلاحين . علما بانك تمت باهانة الثلاثة الاوائل وهم على راس عملهم . هل تقر بهذا ؟ . تفضن وجهه ضابط الصف بريشيبف ، ثم شد قاتمته ووقف باستعداد واخذ يتكلم بصوت خافت اجش ، وينطق الكلمات بوضوح كأنه يأسر :

— سيادة معالي قاضي الصلح الاكرم . لقد بات من المعلوم ان جميع فقرات القانون تراعي الاحوال والظروف عامة . فانا لست بمذنب وانها الاخرى هم المذنبون . فالمشكلة وما يحيط بها من ملابسات نشأت

القصة العراقية حادة جدا ، دون موقف كبير ، انفعالية دون هدف كبير ، غاضبة حين يستوجب الهدوء ، وبسيطة وكاذبة حين يستوجب العنف والغضب .. ذاتية تحمل هموم كاتبها فقط ، بعيدة عن حقائق ما يدور ، حتى صارت عند البعض مجرد (واجهة) يختفي خلف جدارها : ياكل ويشرب وينام ... ويكتب !
الحدة في قصتنا تقترب من روح الخطابة والمباشرة ، وربما تطورت في السنوات الاخيرة من حيث الشكل ، لكنها ما زالت تقتقد الى المضمون الجيد ، ورغم مرور سنين عديدة على نشأتها ، نجد ان المضمون العام عند اغلب القصاصين يراوح في مكانه مع القليل من التغيير الذي لا يمكن احتسابه تطورا مرضيا عند احتساب الفترة الطويلة لممارسة القصة . المضمون باهت ، متكرر في قصة عنها الى قصة ثانية ، كليشيات تقتقد قيمتها كلما ازدادت معرفة بما كتب القاص في ازمة سابقة : المتهى ، الشارع ، العلاقات النسوية المفلقة ، الجاهية ، البيت ، الشارع مرة اخرى ، والفناني الذي يعاني منه البطل ، حتى دون سبب احيانا !

لقد رأينا نوعا من الكتابات ، ليست سوى ارقام ، اضافات ، وهوامش ، لا تخدم المضمون ، ولا تشير الى شيء ، ورغم هذا (منشورة) تحت عنوان (قصة العدد) وعليها مكافأة ، ويزداد كاتبها غرورا على غرور اسبق ، لقصة سابقة هي الاخرى مجرد ارقام وهوامش وزوايا ولطعات واطافات لا معنى لها على الاطلاق .

والقصة القصيرة ، ذات نفس قصير (جدا) وقد تجدها عند البعض (صفحة واحدة لم يكتب فيها غير انفعالات يومية جاهزة قريبة من المذكرات او الكتب الرسمية) .. واذا سالت عن السبب يقال لك : ان ناتالي ساروت وذكريا تامر ، وامثالها ، يكتبون بهذه الطريقة ..

انهم يجدون في نماذج البعض غاية كبرى ، دون أي فهم لايست الدلالات وابطسط حالات الفن في كتابات ساروت ومينغواي وتامر وغيرهم ممن كتب القصة القصيرة جدا .. ان عبثية القاص العراقي غير صادقة وغير حقيقية لانها غير منسجمة ولا متفقة مع تصرفه اليومي ..

ولنا حديث اخر ، في حلقة اخرى من هومونا القصصية ...

عبد الستار ناصر

» الحلقات السابقة منشورة في « البيان »

١ - بوريس بروسوف - الواقعية اليوم وابدأ - منشورات وزارة

الاعلام - بغداد - ص ٢٧ .

بسبب جثة ميت سلم صاحبها روحه الى بارئه ، فبينما كنت امشي الهوينيا بسرور مع زوجتي بتاريخ الثالث من هذا الشهر شاهدت جمعا من الناس على الشاطئ ، فقلت في نفسي باي حق اجتمعوا هنا ؟ وتساءلت عن السبب وفكرت ، هل من المعقول ان تكون فقرات القانون قد نضت على ان يمشي الناس جماعات ؟ صرخت فيهم نرقوا . واخذت انضممهم كي ينصرفوا الى بيوتهم فالتجمع منسوع وامرت وابيضوف ان يطرد الناس المجتمعين بشدة .

— عفاا ولكنك لست بشرطي او عمدة ، فهل طرد الناس بدخلى في اختصاصك ؟

وتعالى صوت من احدى زوايا المحكية :

— كلا ليس هذا عيله كلا ، لم يعد العيش ممكنا بسببيه يا حضرة القاضي . لقد مرت خمسة عشر عاما ونحن نتحتل اذاه . اي منذ ان احيل على التقاعد وعاد الى القرية . منذ ذلك الوقت ونحن نعانى منه الامرين ، ولا ندري ما نعمل ، حتى اننا فكرنا في هجر القرية بسببيه ، فقد ضايق الكل بتصرفاته .

وعقب شخص اخر على حديث زميله قائلا :

— بااضبط يا سيادة القاضي فالكل يشكون منه لقد غدا العيش معه امرا مستحيلا . فان مشينا او ذهينا الى عرس فخرسا ، او حدث حادث ما ، نسمع صراخه وعويله يملأ المكان ، يدعي انه يقوم بتنفيذ النظام ، حتى انه ليجرؤ على مسك الاولاد من اذانهم ، ويختلس النظر اى العجايز ويقوم بحصر كل ما يميلنه ، كأنه احدى الصوات ... فهو يمشى في القرى المجاورة ويامر الناس بان لا ينفروا ولا يوقدوا النار او يجتمعوا حولها ، يقول باننه لا توجد فقرة في القانون تسمح بفعل هذا .

قال القاضي موجها حديثه للرجل : — انتظر قليلا عليك الوقت الكافي كي تدلي بشهادتك . فليتابع الان بريشيف . تابع يا بريشيف ! قال بريشيف بصوت اجش :

— امرك يا سيدي ... ارجو من سيادتكم ان تسمحوا لي بان اقول انه ليس من اختصاصي تقرير القاتل ... حسنا ... ولكن ما العمل اذا كانوا يغوصون في الفوضى ؟ اود ان اسالكم هل ورد في القانون ما يسمح بان نطلق العنان للشعب ؟ انني لا استطيع ان اسبح يا سيدي بهذا .

فاذا لم اطردهم انا فمن سيردهم عن غيهم اذن ؟ في قريتنا كلها يا سيادة القاضي لا احد يعرف النظام الحقيقي ، ولكي اعرف لوحدي كيف يجب قيادة هؤلاء الناس . انني ياسيادة القاضي استطيع تذكر كل شيء ومعرفة كل شيء ايضا . انا لست بموجيك (1) بل ضابط صف متقاعد ، لقد خدمت في سويسرا ثم في القيادة العامة بساكني وليكن في علم سيادتكم انني خرجت من الخدمة شريفا . عملت بعد ذلك في مدرسة للبنين مدة عامين في سويسرا .. انني كى ارجو ان

جميع وكل طرق النظام يا سيدي ، اما هؤلاء الموجيك فانهم اناس بسطاء لا يفقهون شيئا ، ولكن عليهم ان يسمعوا وينفذوا ما اقول لانني اعمل من الدائم وفي مصلحتهم . لناخذ على سبيل المثال هذه القضية ، قضية تفريق الناس ، فعلى الشاطيء كانت مسجدة جثة لغريق سالت عن السبب وما الداعي لوجودها هنا ؟ وقلت هل هذا نظام ؟ لماذا تنظر اليها وانت مكتوف الايدي هكذا يا شرطي ؟ لماذا لم تبلغ مرؤوسيك بالامر ؟ لعل هذا الغريق اغرق نفسه ، او لعل احدا قتله او انها جريمة جنائية ؟ ولكن الشرطي الدمو جيكين لم يبد اي اهتمام بالوضوع بل راح بدخن ثم

قال ببرود مخاطب الناس : — ما هذا الذي عندكم ؟ من اين ظهر هذا ؟ الا نعرف نحن بدونك كيف يجب ان نسوي الامور ؟ قلت له :

— لقد بات واضحا بانك لا تعرف النظام يا هذا ، ان طريقة تصرفك هذه طريقة حقاء ووجاه وهي ان تفك هكذا دون مبالاة .

اجابني : — لقد اعلمت الجاويش بالامر منذ البارحة . سأتت :

— ما علاقة الجاويش بذلك ؟ ما ضروره هنا في مثل هذه الاشياء ؟ قلت له :

انني اشتهر راحة جريمة فعلها احد الجرمين ... عليك ان تسرع باحضار المحقق والسيد القاضي ، هذا ما عليك ان تفعله في البداية ، وقلت له ايضا : عليك ان تكتب تقريراً وترفعه الى قاضي الصلح . ولكن الشرطي كان يسمع حديثي ويضحك كذكك الموجيك ضحكوا . فغضببت وقلت له منذ اداء القسم والاداء بالهشادة منتقابل . ولكن هذا الموقف امامكم تابع ضحكك وكذلك ضحك العريف اليايوف ايضا ، ماذا افعل اكثر عن اسناتي مثلهم ؟ ولم يكف الشرطي بهذا بل قال لي : (قاضي الصلح لا يحكم في مثل هذه القضايا) .

وما ان سمعت هذه الكلمات حتى شرعت كانه التي بي في جهنم . قلت له : انك شرطي وتنفوه بمثل هذا الكلام ؟

واستدار بريشيف الى جيكنين قائلا :

— اثم تفل هذا ؟ . لقد سمع الكل كيك ، انك على سبمع الفلاحين قلت (بان قاضي الصلح لا يحكم في مثل هذه القضايا) . لقد سمع الكل

— أسماء من كانوا يجلسون حول النار .

ويخرج بريشبيف من جيبه ورقة ملونة بالدهن ويلبس نظارته ويقرأ :
(انذين كانوا يجلسون حول النار هم ايفان بروخوف ، سافا ميكافوروف بيوتيرف ، سولداتكا شوستروفا والاخره هذه (ارملة) تعيش مع سيون كيسلوف بشكل غير شرعي ، وايفانت سفروجوك وهذا ايضا يعمل بالشعوذة والسحر وزوجته مافرا امرأة خبيثة ملعونة ، انها تحلب بقرات الغير ليلا) .

— يكي ، قال اتقاضي ، ثم اخذ يستجوب الشهود .

رفع ضابط الصف بريشبيف النظارة الى جبهته وراح ينظر بدهشة الى القاضي الذي بدا انه لا يفت الى جانبته ، ولعل عيناه المحملتان وازدادت حيرة الانعاس ، وراح ينقل نظره تارة الى القاضي وتارة الى الشهود ، ولكنه لم يستطع ان يذهب لماذا يبدو القاضي مضطربا ولماذا يسمع من زوايا المحكمة بين الفينة والاخرى تذبذبا او ضحكا بتحفط . لم يذهب سبب الحكم عليه بالسجن شهرا .

قال متمسلا وهو يبعد ما بين يديه :

— لاي سبب ؟ باي قانون ؟ .
لقد بات واضحا بالنسبة لـه ان العالم تغير ، وان العيش على وجه الارض غدا امرا لا يطلق ، لا بد ان افكارا كئيبة اخذت تتملك الناس . ولكنه ما ان خرج من المحكمة وراى جماعة من الفلاحين المجتمعين ، الذين كانوا يتحدثون عن شيء ما ، حتى عاد الى عادته التي لا يستطيع ضبطها ، ووقف باستعداد عسكري ثم صرخ بصوته الاجش الصاخب :

— ايها الناس ، تفرقوا ، لا تتجمعوا ، الى بيوتكم ، « مارش » .



فأذا لم تضرب الانسان الاحيق فمعنى هذا اننا نحمل اثما كبيرا في نفوسنا ، وعلى الاخص اذا كان الامر من اجل قضية .. او بشأن القوضي .

قال القاضي :
— عفو .. هناك من يراغب النظام ، هناك الشرطي ، العبد ، وغيره .. .

الشرطي ان يستطيع مراقبة جنبيه ولا يفهم انما هذا — يبدو انك لم تفهم بعد ان هذا ليس من اختصاصك .

— ماذا يا سيادة القاضي ؟ ليس من اختصاصي ؟ انه لامر غريب من الناس في غرضي وليس هذا من اختصاصي ؟ ، ماذا علي ان افعل ان ؟ المدمحم ؟ ها هم يشكونني لسيادتك بانني منتمين من الغناء .. ولكن ما الجيد في الغناء ؟ غبدلا من ان يقوموا بواجباتهم تراهم يغنون .. وهامهم ينقلون اليها تقليعة جديدة . انهم يوقدون النار كل مساء ويجتمعون حولها في الوقت الذي يجب عليهم ان يخلدوا للنوم ، وتسمع منهم احاديث مضحكة و .. . لقد دونت كل شيء عندي يا سيادة القاضي .

— ما لديك ؟

بهذا .. كيف ان .. . لقد كادت كلياته ان تغلقني يا سيادة القاضي . دمرت وقتلت له : اعد ، اعد ما قلت . واعد من جديد الكلمات ذاتها دون خوف او وجل .

اقتربت منه وقتلت كيف تتقوه بهذا ؟ هل بإمكانك ان تعيد هذا امام قاضي الصلح ؟ ؟ قلت : اتعرف بان قضاء الصلح اذا رحموك فانهم يستطيعون على هذه الكلمات ان ينقلوك الى ابعد مركز من مراكز الشرطة في البلاد ، لا لشيء ولكن لساوكتك الشكوك فيه ؟ وقتلت له ايضا اتعرف الى اين يربك قاضي الصلح على مثل هذه الكلمات السياسية ؟ . ولكن التعريف اليابوف انبرى قائلا :

قاضي الصلح لا يستطيع عمل شيء اكثر من عمله المخصص له ، انه يحكم في القضايا البسيطة ، يا هذا .

قال هذا ايضا على مسمع الكل .. . قتلت له كيف تهين السلطة ؟ انني اقول لك لا تهذي بهتل هذه الكلمات والاساعت الاحوال بك يا اخ . كان عندها يحدث مثل هذا معي في وارسو او سويسرا عنديما كنت اعمل في المدرسة الابتدائية ، كنت اسمع مثل هذه الكلمات غير المرغوب فيها ، اخذ بمراقبة الشارع لعل شرطيا يعبر فاحذته بما كنت قد سمعته ، ولكن لمن ستقول هنا في القرية ما دام الشرطي نفسه يتقوه بهذه الكلمات ؟ . لقد تملكني الغضب واصبح شيئا مخزيا ان ينسى الشعب واجبه ويتصرف على هواه ، ويشق عصا الطاعة . لوحت انذاك بالمعصا التي كتبت احبها .. طبعيا ليس بشكل قوي ضربتهم بل بشكل معقول وبتأن حتى اتى لاجرؤ على الاعتراف بهذا امام سيادتك .. . لقد دافس الشرطي عن العريف .. . فقدت اعصابي يا سيادة القاضي ، ولكن بدون هذا .. . بدون الضرب لا يمكن

المسماة بحركة البعث الزنجسي
Negro-Renaissance اسما وشعارات
من صميم الثقافة والفكر الفرنسي ،
مما يؤكد التداخل بين الثقافتين والذي
تجلت بظاهرة في نمو الحركة الزنجية
نفسها وتطور مفاهيمها السياسية
والفكرية والعقائدية ايا كان موقعها .
ويرى كثير من الباحثين ان هذا
التداخل هو في حد ذاته دليل واضح
على وحدة هذه الحركة وتأكيد
لاصالتها ليس على المستوى الفكري
والروحي نحسب بل على المستوى
العرقي والسلالي ايضا .

ولدت وجدنا من علماء الاجناس
الزئوج من حاول رد الزنجية الى
اوصولها التاريخية الحقيقية بمعد
ان خرج العديد من الابحاث والمراجع
في الجغرافيا البشرية وهي تتجنب
التركيز على الجذور الحضارية للزئوج
بينما نال الكثير من الملونين الآخرين
كالمغول والهنود الحمر والحاميين
وغيرهم اهتماما اكبر ، الا ان بعض
هؤلاء المتحمسين لقضية الزئوج
بوجه عام قد وصل في غيرة حماسه
للزنجية الى اعطائها طابعا غوتيسا
وصفها بانها جنس فوق الاجناس ،
وقد استند بعضهم في ذلك الى ان
الجنس الزنجي هو الجنس الوحيد
الذي لا زال يحتفظ بنوع من
لخصوصية والتفرد دون باقي
الاجناس ، كما ان العدد الاكبر من
الزئوج في العالم (حوالي ٢٠٠ مليون
نسمة) لم يختلطوا كثيرا بغيرهم من
الاجناس (ما عدا العرب) ولا يزالون
يحتفظون بكل سماتهم الزنجية
الاصيلة . وقد وصل بعض الباحثين
الفسولوجيين في الولايات المتحدة
الامريكية الى تحديد نقاط الضعف في
التكوين الفسولوجي لعدد من
الاجناس فذكر ان اليهود (الساميون)
يوتون عادة بامراض القلب والزئوج
يوتون عادة بالامراض الصدرية ،
وان الاربين يوتون بامراض القدم
والعظام والمخ وهكذا ، ولقد كان
البعض لا يوافق على هذه التسميات



الزئوج الفرنسيون والانجليين

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

اعداد .. محمد طنطاوي

القيم الفكرية من المدعين الزئوج في
المجتمعات الانجليزية والفرنسية امرا
لا مفر منه ، كما حدث عندما قامت
فرنسا بالسباح لليوبولد سنجور
بالتمتع بعضوية الجمعية الوطنية
الفرنسية ثم لامين جاي ومايادو ضيا
من بعده وكان هذا اول تنويع صادق
لما يمكن ان نسميه تطور الفكر الزنجي،
على ان التطور الذي حدث في الفكر
الزنجي الافريقي عند الفاطميين
بالانجليزية ينطبق عليه ما مس حياة
الزئوج الامريكيين بوجه عام ، بل ان
زعيم زنجيا امريكي مثل الان لسوك
Alian Locke استعمار لحركته

بدا هذا الاتجاه يظهر في العالم
الزنجي — اذا صح هذا التعبير —
منذ بداية العصر الاستعماري وتقسيم
دول القارة الافريقية بين الاستعماريين
الانجليزي والفرنسي ، ولقد كانت
هناك بعض المستعمرات الافريقية
التي تركز تحت نير الاستعمار
البرتغالي والالمانى ومع ذلك فكان
الحصاد الثقافي في تلك المستعمرات
لم يكن له القدرة على البقاء
والاستمرار كما حدث بالنسبة
للتقانتين الانجليزية والفرنسية ، وقد
وصل الابداع الزنجي في مجالي
اللغتين الانجليزية والفرنسية
وادابها الى حد جعل ذوبان بعض

الا انه يمكن القول بان الابحاث الهيدلية لم تستطع ان تثبت بطلان ذلك حتى اليوم .

ونرى البعض يتكرون على الزواج هذا التردد وتلك الامالة فنجدهم لا يوافقون على فكرة المرض العام واسباب الموت العامة لدى الزواج او اليهود ويرجعون ذلك لاسباب اجتماعية تتعلق بطروف الحياة اليومية التي يحياها الزوج ، ويرون ان وفائهم بالابراض الصدرية انها ترجع الى الفقر والحرمان وسوء التغذية والرطوبة والظروف الصحية السيئة التي يعاني منها اغلب الزوج في العالم ، كما يرجعون وفاة اليهود بامراض القلب الى الحياة الملتزمة والانتواء والخوف من الآخرين وترقب الاخطار والخوف على التجارة التي كانت مهنتهم على مر العصور ، وحياتهم داخل « الجيتو » اليهودي المطلق فقد كان هناك دائما نوع من الشك والريبة يسود العلاقات بين اليهود بعضهم البعض مما قد تكون له اثره الفسيولوجية عليهم ، وهكذا فانهم يرفضون فكرة التفرغ لخدمة الاجناس حتى ولو كان هذا التفرغ مرضيا او عنصريا .

ويذهب سنجور في تفسيره للحضارة الزنجية بعيدا فيقول بما يسميه الحضارة الزنجية الافريقية ويطلب ببعث هذه الحضارة من جديد وصيانة تراثها ، ورغشم اعتراف سنجور بان هذه الحضارة لا تجيب على كثير من تساؤلات العصر الا انه يقول ان لديها القدرة على البقاء والديمومة والاكثافة الذاتي باعتبارها كما يقول « اصالة متجردة » وهي وان كانت تستطيع الاحتكاك بالحضارات الاخرى الا انها تمارس هذا التفاعل والامتزاج الحضاري دون ان تفقد مقوماتها الاصلية بل لتقدم تلك المقومات بما يطرا عليها من تيارات مستوردة واتجاهات واعدة . وقد ظهرت عبر الحركة الزنجية في غيانا (شمال امريكا اللاتينية)

حركة تاصيل لما سمته « اكتشاف القيم السوداء » ووعى الانسان الزنجي بوضعه ، ويقولون في تواضع ان هذه المفاهيم المتقدمة قد وفدت اليهم عبر زواج الولايات المتحدة الذين عاشوا دائما ظروفا افضل وكانوا على اتصال اعيق بمعطيات الحضارة الحديثة . وان لم يتكروا في نفس الوقت تاثيرهم بالحركة الزنجية التي سادت جزر الكاريبي وكانت فرنسية الطابع كانتا المنهج افريقية الفنون، حيث كان هناك نوع من الاتصال الروحي الذي يتخطى الحدود والمسافات وتوع من التعاطف اللوني بين مختلف الحركات الزنجية السوداء حتى ان حركتا نياجارا والبست الزنجي سارعا للترحيب بالحركة التي انشئت في باريس على يد سنجور وزملائه الذين اشرفنا اليهم من قبل . واذا كانت الحركة الفراكفونية بوجه عام قد استطاعت ان تطلق من باريس فان الحركة الانجلوفونية لم تستطيع ان تفعل نفس الشيء من لندن ولكنها بدأت انطلاقتها من الولايات المتحدة الامريكية ومن بعض الدول الافريقية الناطقة بالانجليزية مثل نيجيريا وكينيا وسيراليون وجنوب افريقيا اخيرا وغيرها . وقد حاولت بريطانيا احتواء الحركات الزنجية داخل مجموعة دول الكومنولث الا انها لم تستطع وخرجت معظم اعمال الادياب الامارقة تندد ببريطانيا وبسوقهم في السود خاصة اثنان استقلال عدد من الدول الناطقة بالانجليزية وعند اعلان ايان سميث الاستقلال من جانب واحد من بريطانيا، وبدا انشاء عدد من حركات التحرير السوداء التي واكبها حركة ادبية تحريرية نشطة قدمت للادب العالمي عدة روائع في الرواية والشعر والمسرح .

ويذكر البروفيسور الزنجي جان واجنر Jean Wagner في رسالته للحصول على دكتوراه الدولة « ان الزنجي كان دائما يرى نفسه في عيون

الآخرين لانه لم تكن لديه فكرة الاسباس بالذات » وهو يرى ان الانسان الزنجي كان مضطرا لان يكون كذلك عبر سنوات طويلة امام عالم ينظر اليه مرة بعين التسلياة ومرة أخرى باحتقار ومرة ثالثة بمعية الشفقة ، ودعا في رسالته المذكورة لتكاتف السود والبيض معا لمحو صورة « الزنجي الطفل المختلف » من ذهن البيض ، وكذا مساعدة الزوج لكي يكونوا انفسهم قبل اي شيء آخر « على حد قوله ، وهو يريد كما قال بعض المفسرين المهتمين بالحركة الزنجية — ان يرفض الزوج كل القيم والانماط السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تجعل منهم مواطنين من الدرجة الثانية ، ودعا الى ممارسة ضغط اكبر على الراي العام الامريكي والحكومة الامريكية .

وقد ظهر في الحركة الزنجية الامريكية اسم لامع ايضا هو الكاتب الزنجي ديپوا Du Bois حيث بدأت شهرته بعد ظهور مؤلفه الهام والرائع « الارواح السوداء Les Ames Noires » وهو مؤسس الجمعية الوطنية لتقدم الملونين N.A.A.C.P. ، كما اخرج صحيفة باسم الجمعية اطلق عليها اسم الازمة The Crisis وكان يمثل احد الاعضاء الاربعة في منظمة الاربعة الاوائل حيث كان السكرتير العام لهذه التنظيم الزنجي البحت . وتلمح هنا ان هذا الفكر الزنجي الكبير يحمل اسما فرنسيا رغم انه يعيش في امريكا ويطلع اعماله الادبية والسياسية في اوروبا وينشر نشاطه في افريقيا وامريكا وغيرها ، وهنا ينضج البعد الانتشاري للحركة الزنجية وروادها المخلصين وحرصهم على اعطاء نشاطهم طابعا يتسم بشمولية والدولية وبعثت الانسان الزنجي اينما كان .

محمد طنطاوي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhr.it.com>

شجرة الرمان

جارائي الحلو

امي .. واطلت من الشباك .. قالت ان الحفرة بخير ..
والتراب يصلح للزرع .. والماء بالبئر ، وان الفاس
بجانب الحفرة .

وقال ابي ان الشمس طيبة .. والسكة ليست طويلة ..
وانا كنت في لهفة على شجرة الرمان .

يا شجرة الرمان
يا حلم الاحلام
احفظك في عيني

ازهري يا شجرة الرمان ..
الاولاد في انتظار النور ، والبنات في انتظار ليلة
العرس ..

وفي شوق الى هذه الحبات الحمراء في لون
النار ..

ازهري يا شجرة الرمان ..
ازهري ...

في الصباح التمنت الشمس بسمه من الذهب .. فردت

قلت أنا : ان حلمي سوف يتحقق .. وأبتسم أبي ..
وفرحت صاحبتني « غاليه » .. ولعبنا معا تحت ضوء
القر الذي انعكس على وجهها — الطفل — حياة تنبض ..
امسكت بيده الرقيقة ، وكانت ترتجف .. ترتجف ..
وعلى البعد اثنجار واقفة كالاشباح .. صامدة في
عناد ..

يا شجرة الرمان
يا أحلى الحلوات
احفظك في قلبي

خرج رغيف الخبز من قلب الفرن ساخنا .. غاليه
تساعد أمي .. والتمه الفرن كل الحطب .. قفزت
القطلة البيضاء ونامت فوق الفرن .. سعل أبي ..
سعل ، أخذنا ناكل .. للعسل الاسمر حلوة الفرحه ..
وغالية تيمض الخبز على مهل ، وعيناها تحثني بشيء
لا اعرفه ..

لم يعد ياتيني النوم غفلة .. لقد سهوت الليالي الطوال
أبني نفسي بالحلم الجميل ..

ازهري يا شجرة الرمان
الاولاد في انتظار الثمر
ازهري ..

— هل حقيقة .. شجرة رمان .. ؟

للعيال اسئلة ساذجة ..

وحياة أبي الفلاح — الذي يقسم على زواجه .. وعلى
الفاصل الذي يطعمنا — سوف تأتي شجرة الرمان ..
النف العيال .. سنلعب معا تحت ظلها .. ومعا سناكل
ثمارها الطيبة ، والبنات سيحكين نحننا عن أشواقهن
لصبيان البلد ..

يا شجرة الرمان
يا فرحة البنات
يا أحلى الحلوات

اطلت الشمس في فرح .. أدرك أبي ان الشجرة قادمة
وسوف تثمر ..

تقافرن في فرح .. سيصبح عنفنا شجرة ..
نحن الفقراء سيكون لنا شجرة لا يمتلكها الأغنياء ..
نظر لي « عدو الشمس » في غيظ ، لم العيال حوله
وقال : ان أباه عنده « غيط » كبير به ذره .. « لوغيط »
كبير به قطن .. « وغيط » كبير به أرز ..
ولم يقل « غيط » كبير به فلاحون فقراء ..
ولم يصادق أحد هذا الولد الأبيض .. كلنا لا نحب عدو
الشمس ..

ازهري يا شجرة الرمان
الاولاد في الانتظار
ازهري ..

مع أبي ساذهب .. ساحتل مشاق الطريق ، فأنسا
مصمم .. وأبى فرح بي .. ومعه ساعد .. كلنا
سنكون معا .. أبي .. وأنا .. وشجرة الرمان ..
نعم يا غالية — يا طفلة صنعها الله على قدي — هي
شجرة الحب .. والزهور الحمراء .. وحبات السكر
الحراء في لون الشمس الماذبة ليوم جديد ..

يا شجرة الرمان
يا أزهى الاشجار
يا لون النار
أزهري

جلسنا فوق الفرن الدافئ .. التفت غالية في حرامها
الذهبي اللون .. ابتسمت .. وبانت أسنانها الضخمة ..
أقتربي .. أقتربي مني .. البرد يسري في أعصابي ..
وأحتاج لدفك .. أقتربي مني .. هل تخسين حرارة
الفرن ودفئه .. صنعه أجداننا لتحدي السماء
المطررة .. أقتربي .. سأهبط لك بسر .. سوف
نشعل نارا .. وناخذها بين ذراعينا .. ونجلس تحت
شجرة الرمان .. غاليه .. أنت معي فرحة .. وفي
عينيك لهب النار .. وفمك عسل .. لا ترفعي صوتك ..
أبي مهددة أمام القرن .. أبي يجهز لرحلة الفسد ..
انفاسك .. نعم انفاسك دافئة .. هي رفيق طيب ..
وأنا ارتعش ..

اهتمت ..

سأصيح هسائنا باللون الأحمر .. واشرب عصير
الرمان .. فأصبح حلوة ..
ها أنت حلوة .. ووجهك يتفجر دما ..

الرمان .. سوف أضمه بين يدي .. أعصره .. انظري
.. انفرط الرمان في يدي ..

الحبات الحمراء في لون النار ..
الحبات الحمراء ..

ازهري يا شجرة الرمان ..

تهددت بجوار أبي .. ذقته خشنه .. وعيناها تفشاهما
زرقه خفيفة ..

ويكون لها زهور حمراء .. ثم تثمر الرمان ..

نامت العذرة السوداء على جنبها .. وكانت تجتر ..

والقطعة البيضاء عيناها تشعان ضوءا حيا ..

قالت غالية عن كسايات الحب والليل .. وأقاصيص
الصبيان في غيطان الذرة .. وتحت التخليل .. وعند
السواقي ..

وقصت — غالية — عن الصبيان الذين قتلوا في غيطان
الذرة .. وعن الجثث في بطن السواقي ..
يا غالية ..

الليل مرقا المهوم .. والتهار بحر لا ينتهي ، وللشوق
مرقا .. وشجرة الرمان سوف تجمعنا .. وتكون لنا ..
نبتاهي بها .. ونفني لها ..

غنا يا صبيان :

يا حبيبنا يا شجرة الرمان

ركبت وراء أبي — على الحمار — ، كان أبي يغني أغنيات
لا أعرفها عن التبل والغيطان .. والنموع .. أغنيات
فقهية .. وبسيطة .

سرنا بجوار السكة الحديد ، وبين لحظة وأخرى : انظر
ورائي لأراقب السكة حتى لا يفجانا قطار الدلتا .
كثيراً ما حاولنا نحن الصغار أن نخرج قطار الدلتا عن
قضيبه . وضعنا قطعة من الصابون ، وفوقها ملميم ..
ولم يحدث شيء .

غيرنا أنواع الصابون . تهمس أبي : لا تصدق .
عدو الشمس يقسم أن أباه قد أوقع قطار الدلتا وهو
صبي .. ونستري أنواعاً أخرى من الصابون .
غالبية .. هل تسميعيني ؟

كنت لاحظتها نائمة على الأرض ، واضعاً أذني على قضيب
السكة الحديد .
قالت غالبة .

نعم .. اسمعك .

وكانت مثلي نائمة على الأرض ، وتسمع بأذنها وهي
تضدك .

كنت أضع أذني فوق القضيب وأعرف لهم إذا كان القطار
قائداً أم لا .. كل الآباء يذروننا من قطار الدلتا ، لكنه
ها هي .. يأتي على مهل .. ويسير على مهل .. ولا
يستعمله « الأتدييه » الكبار ، أو أصحاب السيارات
الكبيرة .

ذعر الحمار ، وكدت أن أقع .. تشبثت يد أبي باللجام ..
وشجرة الرمان .. لقد مر قطار الدلتا على حين فجأة .

أزهرى يا شجرة الرمان

البنات في انتظار ليلة العرس ..

أزهرى يا شجرة الرمان

— ربع الجنينه .. ولا أقل

هكذا قال الجنابني .

كنا جالسين بالكشك الخشبي ، فوق كراسي القش
الواظنة .. كان الشاي سيئاً .. والحمار مربوط في
عمود نور خشبي يهش بذيله الذباب بلا توقف .

أقسم الجنابني بأيماناته الله وبزيارته للرسول — ولا
أعرف كيف يزور جنابني غلبان أراضى النبي المباركة —
أقسم بأنه لو اكتشف « البيه » المهندس سرقة الشجرة
من « المشتل » فصله من عمله .

— ربك ستار

هكذا قال أبي .. ولم له سيجارة .. ودفع الربيع
جنينه .

وكان الحمار سعيداً حين سار .. والشجرة في حزن
أبي .. وأنا أنكر الأيام الماضية : أيام قطار الدلتا ..

وأرى الأيام القادمة .. أيام شجرة الرمان المزهرة .

أزهرى يا شجرة الرمان

أزهرى ..

أخذت الشمس مكانها فوقنا .. ابتهجت القبطان
فاشتعلت بلون أخضر .. وكلما مرنا على غيط يقف
العيال الفقراء بجلابيهم الزرقاء يضحكون .. ويلوحون
لنا بالشرشارة أو بالفأس ، أحبهم .. ولا أعرفهم ..
ولا أعرف آبائهم .. وأحبهم .

نزلنا من فوق الجسر . أنت هناك يا غالبة .. تنتظرين
كام .. وأنا راجع إليك بشوق الطفل .

أبي بلله العرق ، وشجرة الرمان أمامه مسترخية في
هدوء .. وها هم الأولاد يجرون البنا .. وهاهم
يهللون .. عيون كثيرة .. ضيقة ولامعة .. وأجساد
نحيلة التفت حولنا .. وكانت غالبة من بينهم جميعاً
مشرقة الوجه حلوة .. تنفث سعادة .. مدت يدها ..
وامتدت كل الأيدي الدقيقة ، تلمس شجرة الرمان ..

يا شجرة الرمان

مرحى بك أختنا وصديقة

يا شجرة الرمان .

مع أبي جلبت التراب .. ومعه تبادلنا الفأس .. والعيال
حولنا فرحين ، يدقون الأرض بأقدامهم الحافية المعروفة .
يصفقون .. ووجههم المخصوصة تفني ..

ها هي الأرض يا غالبة تنفتح لتستقبل جذع الشجرة في
أحضانها ، وسوف يتمسك للجذوع بالأرض .. ويلسع
الرمان في ضوء الشمس ، ونحن سيكون لنا الظل ..
والرمان .

أزهرى يا شجرة الرمان ..

البنات في انتظار العرس ..

والصبيان في انتظار البنات

أزهرى ..

وتحت ظل شجرة الرمان .. سوف أحكي لها عن الذي
لم يمت في داخلي .. عن شوقي الجارف للفضة في الليالي
الباردة .. وأغني .. وأجري بلا توقف .. أقفز الترع
مثل فراشة .. أن نملك هذا العالم الواسع .. وأغني
.. ويغني الصبيان :

أزهرى يا شجرة الرمان ..

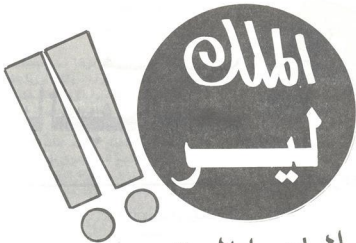
يا حلم الأحلام

والبنات تصبغ أكفها .. وأرجلها بالحناء .. وترغرد :

أزهرى يا شجرة الرمان ..

وتندني لنا الشمس ، لأننا أكثر بهجة منها .. وأكثر
فناً .





ذلك العاهل المعتوه

نجوى عبود

الرئيسي وهو نكران الجليل وتنكر الاولاد لابائهم ولم يكن طرق هذا الموضوع بتصوير بعيد عن واقع شكسبير بل صورة متردية عن واقع الحياة في الماضي ومفهوم يسبق الزمن وخاصة ان مسرحية الملك لير قد كتبت والمؤلف في حالة نفسية خاصة ، ولست هنا بصدد التماس الاسباب او التعليل والتأويل ويكفي ان نعلم ان شكسبير قد عمد الى نقد وتحليل النفس البشرية وما انطوت عليه من ضرور في فترة كتابته للتراجيديا .

مسألة لير هي مسألة ذلك العاهل العجوز ، ملك بريطانيا ، الذي أراد توزيع مملكته قبل موته على بناته الا انه أراد ان يعرف مدى حب كل فتاة له وذلك باخضاعها لامتحان اساسه كلمات سطحية وتزلف كاذب وكانت النتيجة انه سر لابنتيه المرائيتين وابتغى لجواب ابنته الصغيرة الصادقة كورديليا .

خلال تصيهم لاحكامه المتهورة في المسرحية وما آلت اليه حالته نتيجة تلك الاحكام الطائفة ، لكن لير ، الشخصية الانثروبولوجية التطبيقية ، هو الرجل طبيب ارتكب جريمة من الأخطاء دون قصد ندفع ثمنها غاليا ، لقد اولى ثقته بمن هم ليسوا اهلا بها حيث اعتمد على عنصر الاطراء كدليل لمحبة اولاده له وبرهان تاطع ، حسب قناعته ، على كره ابنته كورديليا له ، تلك التي لا تعرف فن التزلف والتهلل فكان نصيبها حرمانها من الارث الملكي .. ولقد تجلت عظمة شكسبير بادخاله شخصية ثانوية مرادفة بمأساتها لمأساة لير وهي تنكر آدموند

الولد اللاشعري لكلوستر الذي بدوره اولاه كل المحبة والثقة ، وهنا نؤكد ان لير وان تعددت جوانب شخصيته في المسرحية ، كون المهرج يمثل جانبيه الآخر ، فهو ليس كما يعتقد البعض بمعتوه او ساذج والا لما اخذت المسرحية بعدا تراجيديا وبما كانت الساذجة فيه الا لتخدم الموضوع

يلجأ العديد من بطلان مسرح شكسبير للاخذ بالمعاني المجردة للكلمات دون سبر ابعاد الكلمة التي قد تنطوي على أكثر من مفهوم او دلالة في ذلك العصر ، هذا اذا تجاهلنا عدم معرفة القاري للخلفية المعلقة لمسرح شكسبير فبدءا من التوريثية والمجاز وانتهاء بالازدراء والسخرية و .. وهذا ما عمد اليه شكسبير في معظم مسرحياته كاسلوب يميزه عن بقية الادباء وخاصة في مسرحية هاملت حيث تتجسد عظمة شكسبير في التوظيف الادبي للكلمة بالمعنى الايجابي والسلبى وتطور الاحداث عبر سلسلة من الصور والمواقف المتناقضة حسب ما يرتئيه القاري الا انها تحصيل في جوهرها تعابير ذات مضمون وتشكل في صياغتها قابلا مقاربا يفضي الى الفعل الايجابي الهادف ضمن اطار من الصور الساكنة المجردة وتصور لاذع لمفوض الحياة وتناقضاتها . فمثلا ذهب البعض ممن قرأوا الملك لير للاعتقاد بأنه رجل معتوه وذلك من

اطلعي سراحي او اطلعي عاتي النار !

شعر: حسين الحسيني

قالت من طرقت بابي ذات نهار :

— حسين ، يا حسين

اني فيك وامست لك

فانا في الحلم اعيشك

في البقطة ارحل عنك

ونظل جراح اورقها في عينيك

يراهما الكحل

فارحل عني

قد يسكنك الفرح

قد يسكنك الموت

قد تفقد احساسك بالاشياء

● سيدتي

اذ ذاك تضع هذي الاشياء معانيها

قد تفيض كل نهاراتي الاحقان

وترفض هذي الشمس معاشرتي

قد افقد اسمي

او اتخذ الموت حبيباً لا يهجرني

حسين الحسيني

— بغداد —

نجس شكسبير بتقديبها اداة
تستنزف عطف القاريء الا انه وبشكل
مبطن يسلط الضوء الاحمر على نجاح
المراة واخفاق الصدق في مستهل
المسرحية .

ينتهي الفصل الاول لتتوالى
الفصول بتسلسل منطقي مترابط
حيث تتكرر وتؤكد النية الخبيثة
والافعال المشينة من الاولاد نحو
ابائهم فلقد تنكرت كل من ريكان
وكونزل لوالديها وادموند لكلوستر
وبذا عانى كل من لير وكلوستر من
الواقع المرير الذي واجههما به
اولادهم انا لا هانة طو الالهات والاحداث
تنازم بخط صاعد وبصورة تراجيدية
مريرة يندفع لير وسط عاصفة هوجاء
تعاظم وحالته النفسية ليتنبا بموته
فيقول :

« لا لن ابكي :

لدي ما يبرر بكائي ... »

سأجن ايها المهرج » .

وبهذه الكلمات الصادرة عن قلب
يتهمز لما تتصاعد الاحداث وتأخذ
طابعاً أشد عنفاً وذلك حين نترقب
جنونه المحتم ونحل الكارثة في الفصل
الخامس ويأخذ كل حقه التقليدي في
التراجيديا الايليزابيثية وذلك بأن
يلتقي كلوستر بابنه اللاشعري ولير
بكورديليا الصغيرة والمهم منا هو ان
نعصر الاعماء كان استقاماً مباشراً
للتأكيد على نفوذ بصرية كل من لير
وكلوستر بعد ان نقدا البصيرة
الفيزيائية . ثم يؤسر كل من لير
وكورديليا حيث يأمر ادموند بتنفيذ
حكم الاعدام بهما ، ثم تدس كونزل
السم لاختها ريكان ثم تنتحر وهكذا
نشعر بالحركة السريعة لتطور الحبكة .
يموت لير وتنتهي المسرحية بخاتمة
تراجيدية مؤكدة على ان شكسبير كان
ولا يزال عشرة رجال في رجل .



ظاهرة الحزن

في الشعر
العربي
المعاصر



تقديم :

لكل عصر ميزة تميزه عن غيره من العصور الأخرى فتصبح علامة له يعرف بها ، أو ظاهرة معينة تنتشر وتعم بمثابة لروحه ، بحيث تقدم صورة صادقة عن مشاكل أبنائه ومشاكلهم من جميع جوانبها والأفلاك التي يدورون حولها وتدور حولهم . وهذه الظاهرة قد تكون حديثة عهد بالولادة لم يسبق لها أن رأت النور أو أنها قد رآته إلا أنه خبا في يوم من الأيام ثم عاد للظهور ثانية . وفي هذا البحث سأقوم بتناول ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر ، وهي ظاهرة معاصرة بدأت منذ فترة ليست بالطويلة ، ولكنها ازدهرت وأبهرت حتى صار الحزن محورا أساسيا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد سواء في المجلات أو الصحف أو

الندوات الأدبية والدواوين الشعرية ، مما يبشر بتضخمها وانتشارها .

والبحث في هذه الظاهرة قد يتفرع إلى البحث في سيكولوجية الشعراء ، ولكنني لن أتعمق فيه حيث سأركز على الأسباب الكامنة وراء الحزن الذي يغلف هذه القصائد ، وعلى صفاتهم النفسية والبيئية التي ساعدت على تشكيلهم ، وأسباب هذه الظاهرة بشكل عام . ثم سأقوم بتناول عدة شعراء وأحاول الوصول لأسباب الحزن لديهم مع تقديم إحدى قصائد الشاعر .

وهذه العجالة ستكون مقصرة ، حيث أن المراجع لم تطرق هذا الموضوع نظرا لحداثته والشعراء المطبق عليهم البحث معاصرون لم تتوفر لهم تراجم . ومع هذا

وقد أعطى علم النفس للوراثة نصيباً في تكوين النفسانيات
تقوم البيئة والظروف بإكمال مشوارها وتحديد مسارها .

أسباب ظاهرة الحزن :

يحتل التقدم الحضاري أو (الانقلاب الحضاري)
الذي نعيشه مرتبة أولى في أسباب هذه الظاهرة . فحن
أمة بدأت تعيد بناء نفسها من جديد ، محاولة الزرع
والتشييد في عالم ملأته الاختراعات العلمية والتقدم
التكنولوجي . وحينما اتجهت أمتنا للأخذ بما هو جديد
أدارت الرؤوس الكاددة ، ولأن خطواتها كانت
بدون سابق دراسة أو تخطيط أو خبرة فائنا وجدنا
أنفسنا بعد طول عناء أننا لم نصل إلى ما نبتغيه ونريده
وتشتت بنا السبل فهذا جديد يبهتنا ويحزننا إليه ،
وذاك قديم يعيش في أعماقنا ويأبى الانسحاب ،
والجانبا يتجاذباننا بكل متناقضاتها ، فملكك الإنسان
العربي الحيرة وارتفعت درجة معاناته . فقبل عام
(١٩٣٧) لم تكن المرأة قد نالت شيئاً من التعليم العالي ،
والآن نراها وقد احتلت أعلى المراكز حين خرجت للعمل .
وقد كان لهذا أيضاً نتائج منها السلبى ومنها الإيجابى
وخاصة على أسرنا . فتحدد النسل وارتفاع متوسط
سن الزواج انعكس على المستوى العقلى للإنسان الذي
أخذ ينحدر بسبب هذه الظروف كما يعلن العلماء اليوم .
ثم هناك المعرفة ، أو ما يمكن أن نسميه « أزمة
المعرفة » . لقد أصبح عصرنا عصر الثقافة العريضة
للشعب ، والشاعر المعاصر نموذج للإنسان المثقف .
ولا شك أن تحصيل المعرفة متعة في حد ذاتها . ولكنك
قد تصل إلى مرحلة لا بد أن تلقى على نفسك فيها هذا
السؤال (ثم ماذا ؟) ذلك أن كل شيء يبدول سرعان ما
يبتدل بالتكرار . ويبقى الأمل دائماً ملحقاً بالشئ الباهر
الجديد ، الشئ البكر . وإلى أن يحدث هذا لا بد أن
يبشئ الضجر بالفنوس ويخلف لها التمساع . وبهذا
ارتفع صوت الشاعر صلاح عبد المصور حين قال في
قصيدته « أحلام الفارس القديم » :

يا من يدل خطوتي على طريق الدبعة البريئة
يا من يدل خطوتي على طريق الضحكة البريئة

لك السلام

لك السلام

أعطيك ما أعطني الدنيا من التجريب والمهارة
لقاء يوم واحد من البكارة .

فكل التجارب أبنتك ، واستهلكك الدبوع
والضحكات ، استهلك الحزن واستهلك البهجة
باستهلاك كل بواعثها ودواعيها . فصار كل شيء حتى
المعطيات التصورية بواعثاً على السأم والتعاسة ، حين
فقدت البراءة والتعاسة والإصالة والجدة ، حتى عزت

فكلنا أمل في أن أصل إلى شيء يمكن أن يسهى نتيجة أو
حقيقة .

تعريف :

الحزن .. ذلك الشعور أو الإحساس الذي ينتابنا
بين الحين والحين والذي قد نعرف له سبباً في بعض
الاحيان وقد لا نعرف . فقد تعددت أشكاله بتعدد أسبابه
ودوافعه فظهر بصور مختلفة عند جميع الناس . وانفرد
الشعراء بأبحاثه إلى كلمات وأبيات منقوعة موزونة .
وهذا النوع من الإحساس الذي سألحوا أن
أسلط عليه بعض الضوء لا أقصد به تلك القصائد الطوال
العراض التي وقف فيها الشاعر داعياً ناثلاً وقد لطم
الخد وشق الجيب وبكى واستبكى الطير في السماء
وفتت الصخور في الأرض . وقرر وضع حد لحياته بعد
غراق حبيب أو وفاة غالي . وليست هي قصائد الرثاء
التي هي في أغلبها قصائد مناسبات ومجاملات ترغم إلى
ذوي الشأن في تأبين أقاربهم ورثاء أهليهم والذين قد لا
يكون الشاعر قد عرفهم في حياتهم ، ولكني أريد أن أخوض
في أحزان النفس البشرية من ناحية نفسية دراسية يلتقي
فيها الأدب مع علم النفس في محاولة لفهم هذا
النوع من القصائد التي تقدم العاطفي في مواضيع عادية
ليست مؤناً أو بئناً . وهي مع ذلك تظهر دائماً جارية
وتترافق ما قاتبا . كلمات تصور الضياع واللوعة والألم
والفراغ وغربة النفس ووحشتها وحرارتها . ونحسكي
جوعها للحنان وحنينها للحب وشوقها للكلية الدائرية
الدفينة وللكلية الصادقة . كلمات تستنكر دموع
التباسيح وتثور عليها وتلغي عهداً ، وتطالب بالعودة
للحقيقة ولواقع . فالشاعر الحزين ليس من بكى ،
والشاعر الحزن ليس صرخات وتأوهات ونحيباً .
ويطلق الأدب على هذه النوعية من الشعر اسم
الشعراء الرومنطيقيين ويسويهم علماء النفس
بالسوداويين (أو ذوي المزاج السوداوي) . وهؤلاء
يمكن الحزن في أعماقهم ، حتى إذا وجد ما يحركه ثار
ولم تؤسهم وظهرت عليهم علاماته ، من انتعاب
وتجهم واكتئاب وركود في الحركة والشاعر . وقد يصل
بهم الحال إلى درجة اليأس والقفوط من الحياة والاندفاع
على الانتحار (كما فعل المهرشي) وهم ممتلئون بالمثل
والمبادئ العليا التي قد يصحلمون بالناس لدى محاولة
تنفيذها ، فيعتزلون الناس ويرحون ويرحون بالتفكير
الباطني مع ذواتهم فيزداد توقعهم أكثر فأكتر ولا يبقى
لديهم شيء يفكرون به ويحلونه إلا أنفسهم ، فيرون أنهم
محور الكون وأنه بدونهم سيتوقف عن المسير . فهم
أحسن الناس وأكثرهم نزاهة وشرفاً ورمعة . وهم
أصحاب مثل عليا ليس لها مثل بين الناس العاديين .

الانسان العربي اليوم هو ضحية تيارات عديدة متعاكسة منها الحضرية والسياسية والدينية والإيديولوجية والاجتماعية والثقافية . وخاصة من ملك نفسا حساسة فانه سيكون مرتعا خصبيا لها . انه يريد أن يسير ، ولكن أي طريق يسلك ؟ وأي فكر يمتنع ؟ ان كل تلك العناصر تصطغر في اعبائه وتقلب حياته رأسا على عقب .

دراسة المظاهرة لدى مجموعة من الشعراء :

أولا : فدوى طوقان :

شاعرة عربية فلسطينية ، عاشت حياة مهلوة بالأحداث منها ما وضع ومنها ما بقي خائبا . وعند دراسة مجموعاتها الشعرية يتضح لنا ان الجو النفسي الذي يلغها يتألف من عناصر متداخلة مردها الى عنصر واحد كبير يمثل في الطلق النفسي الصاحب بها يدفعه ويفغذه من جوع عاطفي وظلما وجداني وحرمان وجفاف ، وبها يواكبه من حيرة واضطراب ولهفة وشوق . ان هذا الصراع الذي يصطبغ في نفس فدوى وفي فكرها صراع بين امر المتيد وانطلاق الحرية . وحين تنفتح النفس ويرهف الحس وينطلق الوجدان ويستتر العقل ، فحينئذ تخوض النفس تجربتها الكبرى لتحقيق انسانياتها . وهذا ما كان لدى فدوى مما جعل قطعا ايجابيا سليما . تتمثل ايجابياتها في الثورة على قيودها التي طوتها بها مجتمعا دون أن تتبرد في مهاوي اليأس وظلمات التشاؤم . وتتمثل سلامته في أنها تعبر عنه تعبيرا أصليا واضحا لا تتوارى فيه وراء الصور البيانية المفرقة في الخيال المستغرق ولم تحاول أن تنقل لثورتها مظاهر شكلية تحطم في طريقتها أصول الجرس وموسيقى النغم . وتدليل على هذه المشاعر والهواجس لدى فدوى نتناول احدى قصائدها من ديوانها (وحدي مع الأيام) تقول فيها :

ماذا أحس ؟ هنا بأعماقي

ترنح أهوائي وأثسوقي

بي ألف أحساس يحرقي

متدافع التبار دفاق

ألف انفعال ، ألف عاطفة

محمومة بدني ، بأعراقي

ماذا أحس ؟ أحس بي لهفا

حيران يغمر كل أفاعي

جفت له شفتاي وارتعشت

أظلاله العطشى بأحداقي

نفسي موزعة ، معبئة

بحنينها بقبوض لهنفها

الدعوة البريئة والضحكة البريئة وصارت كل التجارب والخبرات ، كل المعرفة المحصلة من رواسب الزمن الطويل لا تمحل في الميزان يوما واحدا بكرا . (١) ونفس المعنى يكرره ابراهيم ناجي حين يقول :

كل شيء صار مرآ في قمبي
حين أصبحت في الدنيا عليا
آه من يأخذ عمري كله

ويعيد الطفل والجهل التقديما (٢)

فالمراة ملأت الحلق بمعركة الكثير . فلم يعد هناك أغلفة تحجب شيئا حتى ان أغلى ما لدى الانسان يقدم — وهو عمره وماضيه كله — مقابل أن تعود له لحظات الطفولة البريئة قبل أن تتسبخ لوحاتها . وما يقال عن المعرفة ، يقال عن المخترعات العلمية . . فعندما قام الأطباء بعملية زرع القلب قبل سنوات فوجئنا بالخبر ، وعندما نزلت أول مركبة على سطح القمر ثارت حكايات واعتراضات ، وأحدثت ضجة ذات أصداء عالية . أما اليوم فان سميما ان الأطباء غيروا صمامات القلب أو أجزاء دقيقة من شرايينه ، أو ان العلماء اكتشفوا انهار ماء عذب أو وجدوا هواء صالحا لتنفس الانسان على القمر — مع عدم وجود ذلك لحد الآن — فاننا لن نستثار كثيرا . لان المستحيل أصبح ممكنا لدينا ، والمعجزات لم تعد تائبنا . وما دام الجزء الاساسي عرف فالاشياء الثانوية اسهل معرفة .

وبذلك يكون جيل اليوم ، هو جيل الامانة الصارخة فأحداث اليوم الواحد التي تمر به تحتاج لاسبوع كامل لدراستها واستيعابها . وهل يكفي من كل بلد قلعة ؟ واين هو من جيل ابنائه الذين نموا لحد كبير براحة البال والاطمئنان النفسي . فهموم غدهم لم تكن تستهلك يومهم مثله ، فهو نهب للطاق بشتان المستقبل بعدد ان ازداد الصغور الذي يلغ شيئا فشيئا وتوتيت معارضة من الغلاء والمجاعات واشتداد الازمات الاقتصادية واستخدام النزاعات السياسية وانتشار الحروب والبطالة وأمراسها ومشوحيها وضحاياها . ولا ننسى ضعف بنية الكائن البشري ، فهو في اندثار جسمي انعكس على طاقاته وانتاجيته . والاحصائيات تشير الى انخفاض عدد من يتابعون تعليمهم العالي . ناهيك عن الاراض التي اطلقوا عليها امراض الحضارة كالازمات القلبية والجلطة بتأوعها وضغط الدم . . . الخ .

وقبل هذا وبعدد يجب ان لا ننفل عن الصراعات السياسية بين الدول وبعضها البعض وصراعات الاحزاب السياسية داخل البلد الواحد وما يعانيه افرادها من تبع وكبت ، الى جانب النزاعات الطائفية الدينية وغيرها .

من كل ذلك نصل الى خلاصة الحديث ، وهي ان

سالكة الدروب ، ومع كل هذا فله نفس مضطربة وضيم
 مثل وروح هائبة حائرة .
 وفي ديوانه (أين المرق ؟) تبدو جميع تلك الصفات
 والشاعر والاحساس . ولما طغى عليه اليأس وقنطت
 نفسه وجدناه يشرح عنوان ديوانه على أولى صفحاته
 صائحا متسانلا :

« اكلمنا ناء قيد

جاء قيد !

رب أين المرق ؟ » (٢)

ويردد هذه المعاني مفصلة في الديوان ، من ذلك
 ما جاء في قصيدته « مقابر البحر » (٥) :

« ولما طال به المسير ..

آمنت دعوته وكفر فجنه !! »

والي أحس كان عمري في يد الاحزان يطوى ؟!

نفسى تناهبها الشقاء ولم تجد في الجسم ماوى

قلبي أثلته الجراح فما يطيق بهن شكوى

حبي استحلال رءية للدمع يعصرها فتروى

وصيا غرامي صار أبعد من شبيب الغيب شاولا

أغدو وأمسي ... والاسى نار أذاب بها واكوى !

رباه ! ما أنا ... هل وجدت على زمان الناس سهوا !

سويثني روحا تهدد ... لا يطيق الأرض موى

وأنا التراب ! فكيف صرت هوى ، وتعذيبا وشجوا !

تسفات عينك لا تحن لغير من يبكي دنوا

وأنا اليك ذقت أيامي فزاد دمي عتوا

ورابت سحر في الوجود أفضل احساسى وأغوى !

النهر جبار غصك فلاح محبوبا تلوى

والعطر زنديق يذيع عذابه ... ويقول : سلوى !

والطير مجروح الفناء ويلبس الإهات صفوا

والربيع جن أتم وفخته زلته فدوى ..

وطوى الفضاء مزجرا مهالكا يستل عفا !

والشمس مسؤل تلغ بالفيوم وندس بلوى

تلقت على شفق الغيب كانها في النار تشوى !

والليل أقبل يلا الميعان أسراراً ونجوى

والصمت يهرف كالعجوز تلقن الاطفال لغوا

وأنا الغريب خلت أحزاني فقيل : شريت لهوا

وبكيت حتى شببت اجفاني معذبتي ونشوى

ماذا رجائي في الحياة إذا انتهى ما كنت أهوى

ووقفت أحفر للجراح طريقها ، فتعود شدوا ! .

مرة أخرى مثل غدوى . يبتدى محمود حسن
 اسماعيل قصيدته بالتساؤل ويكرره في أبياته حول
 أشياء كثيرة . ففي بدايتها يتساءل عن عمره الذي طوته
 الاحزان ونفسه التي نهها الشقاء فضاك بها جسده ،
 حتى الحب الذي هو رمز التناؤل استحلال لدية السى
 رواية كبتت بالدمع حتى إذا ما عصرتها انهمرت تلقائيا .

شوق الى المجهول يدفعها

مقتحما جدران عزلتها

شوق الى ما لست أقفهه

يدعوه بها في صمت وحدتها

أهي الطبيعة صاح هائتها ؟

أهي الحياة تهب بإبنتها ؟

ماذا أحس ؟ شعور نائمة

عن نفسها ، تنشى بحيرتها

وهناك نوميء لي السماء وبني

شوق إليها لاهف عارم

فأحس احساس الفريب طفى

ظما الحنين بروحه الهائم

وأرى كواكبها تماتقني

بضائنها المترجرج الحالم

تهوي على روحى تشمعتها

وتلقفه بجناحها القاعم

فأود لو أقضى وادمج في

عقب السماء ونورها المباسم (٢)

وبعد ، فبهذه كلمات غدوى ، تصور فيها نفسها
 قلعة معذبة حائرة تنادى بالاحساس المبهمة فتخرجها
 بنارها وتظلم نهارها بسوادها . وهذه النفس نائمة
 مشتتة . يخفيها المجهول اليهم غرس شموها بالشواغ
 ويقدها حتى نفسها . ويلا التناؤل قصيدتها كدليل
 قائم على حيرتها . فهي تبدأ بالسؤال عما تشعره ،
 وتتساءل عن نوعية الحل الذي يناسبها ثمرة فجعلت
 الطبيعة وأخرى الحياة ، وأخيرا تراه في الموت الذي
 سيقربها من السماء وإجرامها وكواكبها ، طائفة انه
 الطريق الصحيح الى السعادة التي انتقدتها على
 الأرض . وهذا داب أمثالها من الشعراء الذين يرون
 الموت حلا سليما لجميع تناقضاتهم مع الحياة حتى أن
 منهم من يستعجل رحيله فيلجا للانتحار .

ثانيا : محمود حسن اسماعيل :

شاعر الاحساس والذوق والجمال والحب وقد
 غنيت من قصائده مجموعة لا بأس بمددها نالت اعجاب
 المستمعين ولا تزال .

في كتاباته تجتمع رقة العاطفة وشدة المعاناة
 وعذوبة اللفظ ، مع قوة الصبر والتحمل ، كل ذلك متحد
 في نفس مرهفة معذبة تبحث عن شطآن الايمان في رحلة
 الحياة لترسو عليها . حمل هومو وهوم وطنه وامته
 ومن حوله حتى انزلته ، فقد عاش بنفس غريبة لم يجد
 لها متناسلا غير الكلية الشعرية الصادقة . فلا الزمان
 أمين ، ولا الحب دائم ، ولا الصحاب وفي ، ولا الحياة



فروى طوكتاف



محمود حسين السعيد



ابراهيم ناجي

ثالثا : ابراهيم ناجي :

شاعب الحب والشباب بلا منازع . ومع عذوبة الفاظه وقصائده التي تمننا بها ، الا انه عاش حياة تعيسة معذبة . فقد خاب امله في حبه الذي كان نور يومه وليله ، فكيف كان ذلك ؟ ان انتهاء ناجي صدى لنفسية انطوائية . شديدة الشفافية . مفرطة الحساسية فيها كثير من الانطواء الخاوم ، والحياه المغالب . فمنذ طفولته كان شديداً الاحساس بمظاهر الطبيعة غارقاً في الوهم والتخيلات . فقد كانت شخصيته اقرب الى الطابع الرومانسي الذي

وهو قد ودع الصبا فعاش في المشيب قبل اوانسه ، فالاسى غداً ناراً تكويه وتذيبه صباح مساء . ثم يتجه بتساؤله الى الله فيقول يا الله ما انا وما قيمتي . وهل وجودي على الارض سهو وخطأ يجب تصحيحه . مع انك يا رب خلقتني بروح متمردة لا ترضى بواقعي ولا تقتنع بالارض مقاماً . مع اني مجرد تراب جئت من الارض فكيف اصبحت هوى وشجون . فاننا ابحت عن اليقين الكلي الذي هو انت . فكيف السبيل اليك . لقد حسبته في الدبوع . فغرقته بغزارة ولكننا لم تات الا بالمزيد من العناء الروحي والجسدي .

ان مظاهر عظمتك واضحة متجلية في النهر الجبار الذي حاول عمياتك غداً يتلوى وتتسائل اواجه كمن اصابته الحمى . وفي هذا المعطر الذي يتسوع قائملاً للبشر انه السلولي الا انه عين العذاب . وفي ذاك الطير الذي يشدو ليشيع الصفاء ولكن هيهات فان صوته يأتي حزينا باكياً يتدب جراحه . وفي تلك الرياح التي كانتها الجن الشرير الذي يحبل الاثام وقد غبّه ضميره فاخذ يعان شكواه ، والشمس التي هي رمز النور والاشراق لفتها الغيوم واصابتها الخطوب وعندنا يائئها الشفق تبدو للعيان كأنها تشوى وتحرق بالنار ، وها هو الليل قد حل فاحتضن الاسرار واخفاها فترعب الصمت يهرمنا السمع كأنه المعجوز جلست الى اطفال تعلمهم ، ولكن اي تعليم ، انه كلام تضع به الوقت سدى بلا فائدة ترجى .

وانا الذي تملأني الوحشة والغربة في اعمق الاعماق قد تجرعت كؤوس الاحزان حتى الثمالة ، فاصبحت كاني شربت لهواً وعمداً . فعدت للبكاء حتى التيس على الامر فظننت ان اجفاني التي هي نشوتي وراحتي هي ذاتها معذبتي . لقد فقدت الامل في الحياة بعدما فقدت من كنت امواه . وها انا اجتاز الطريق ثانية احفر للجراح قبورها فلا نندثر لكنها تعود لتسمر على انغام احزاني تجرعني كؤوس الالم مرة بعد مرة . هذه هي الصورة النفسية التي يصورها لنا الشاعر . فهو نادم على عمره الذي ضاع وغربة نفسه من جسده حتى اصابه المل والياس فيبحث عن الحل في كل مخلوقات الله والظواهر الطبيعية واندمج فيها ، فوجد فيها التناقض الذي انعكس على نفسه فهو يتسائل عن التراب الذي خلقتنا منه والذي غداً لا يطبقنا فكيف لا يطبق التراب التراب ؟؟ والتراب معروف بالوداعة والنعموة فكيف يتحول فينا الى حيرة وجهل وعذاب ؟ وتكمل نفسه المشوار متحدية العذاب باحثة عن الامل . فهل يأتي ؟ كلا لقد ضاعت بقاياها بضاياع الحب رمز الامل والحياة .

في عناق الصخور
طيفك المسحور
تخت عرش النور
مزقي يا حراب
ومضه كذاب
قهقهى يا غيوب
والهوى لن يؤوب (٩)

وتسولى الظلام
كان رؤيا منام
يا صراف السلام
اطحني يا سنين
كل برق يبين
اسخري يا حياة
الصبا لن أراه

وللمرة الثالثة يتبادلنا البدء بالتساؤل . فكما هو
عند غدوى ومجود اسماعيل هو عند ناجي . وكأنهم
اتفقوا بدون معاهدة فناجي يتساءل عن شط الأمل .
ولن يوجه سؤاله ؟ انه يتجه به الى عباب الهيوم
والمشاكل . فليله عواصف مقلقة ونهاره تحجب فيه
الغيوم النور عنه .

ثم يتجه بخطابه الى الجراح ان تعول وتمصرخ
لتسمع الدنيا . فكما ان الريح عندما تهب لا تهتم بشأن
زورق غضب يهويها فان الدنيا لن تابه لانسان مبتلى
مثله .

ويتابع ، ان اسخري مني ابتها الحياة ولتضحكي
ابتها المرحود طالما انني لن ارى الصبا ثانية ولن يعود
الجنين المفقود . فالابائي هلكت وكل شيء تغير وضعه
في هذه الدنيا سواء الليل او الردى .

وبالنها السلام الذي جثنتي لم تكن سوى طيف
مسحور اختفى . فبا ابتها السنين اطحني كل برق
ومضه كاذبة طوح ولتمزق الحراب كل نور يبدو .
ولتلتهم الحياة في سخريتها والغيوب في قهقهتها طالما

انني لن ارى الصبا ثانية وهواي ان يعود او يتكرر .
وبعد ، فهذه نفس ثالثة ، نسخة مكررة من
التفسيرات السابقتين وغيرها من التفسيرات ، تعاني
القلق وتكابد الغدا ، تعيش حياة حائرة تبقى فيها
كالولب باحثة عن الحل ، فتدور وتدور والنتيجة انها
تبقى في مكانها لا تبرحه خطوة الى الامام اللهم ان لم
تتراجع الى الخلف . مما يؤدي بها الى الانزلاق في
مهاوي اليأس والفتوط .

تجسم في روحه الحائرة القلقة ورقة احبائه ، وحيائه
الذي جملة يمضي كأنه يتعثر ، وعينيه الحاليتين ،
وعصبيته ، وثورته الانفعالية ، وتكوينه الجسدي . لم
يكن على تسعد من الوسامة يهله للظفر بقلوب المذاري
وقد احب في اول عهده بالشباب ولكن فناء احلامه رفضته
وتزوج بعد هذا الفشل . وبقي طوال حياته يحترق بنار
الحرمان والظلم الروحي فكان ينشد حبيبة مثالية (٦) .
وكان ذا شخصية تضحك من الخارج وتترنم من الداخل
فقد يخدع من لا يفوس في اسماره . انه قد يحسده على
مرحه وكثرة دعائيه ولكنه سيبيكي حين يراه ينزف من
الداخل الما وحسرة وسخطا وتبردا :

طالما موهت بالضحك فما
غيري التوويه رأيا لك فيما
كلما تنظـر في عيني تـرى
سري الفاني ومغناي الخـفيا
وترى في عمق روحي زهرة
قد سقاها الحزن دمعاً ابدياً
ويراه القاس طـلا وترى
انت دمعاً غائياً في مقـتياً (٧)

ونتيجة لحب الشباب الفاضل الذي ترسب في
احبائه مرارة ويأس اتجه الحب الهويبي عنده فسي
خطين :

١ - المفهوم العاطفي اليأس الذي يتلظى
بتذكرات حبه القديم الضائع .

٢ - مفهوم الحب الدونجواني المتجدد .
وهو في حبه المتعدد يبحث عن ظل حبيبته القديمة
فهو لا يتصور نفسه الا انه امابه هي او انه محروم منها
هي . وتلدأ تجد عنده مفهوم ما ياديا للحب ما خلا بعض
قصائده التي تأثر بها باتجاه ابي شادي (٨) .
وهذا بالطبع ما نجده في قصائد ناجي كلها بسلا
استثناء ، وهذه احدى قصائد الديوان التي تعبر عن
جملة مشاعره وان لم تكن اكثرها جودة فنية يقول فيها :

ايـن شط الرجاـء
ليـتـني اتـواء
اعـولي يا جـراح
لا يهـم الـريـاح
البـلى والنـقـوب
والضـنى والشـحـوب
اسـخـري يا حـياة
الصـبا لـن اراه
الامـاني غـرور
والدجـى مخـمور
راحت الـايـام
يا عـباب الـهـوم
ونـهـاري غـيـوم
اسـمـعي الـديـان
زورق غـضـبان
فـي صـميم الشـراع
وخـيال الـوداع
قـهـقهـى يا رـعود
والـهـوى لـن يـعود
فـي فـم الـبركان
والـرـدى سـكران
بـابـنـسام الـفـفور

- ١ - عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر .
- ٢ - المجموعة الشعرية الكاملة للدكتور ابراهيم ناجي .
- ٣ - وحدي مع الأيام ، ديوان غدوى طوقان .
- ٤ - (ابن المر) ديوان محمود حسن اسماعيل .
- ٥ - محمود حسن اسماعيل ، ديوان (ابن المر) .
- ٦ - سعد ديبس ، الغزل في الشعر العربي الحديث .
- ٧ - ابراهيم ناجي ، المجموعة الكاملة .
- ٨ - د. احمد هيكل ، مقدمة ديوان ناجي .
- ٩ - ابراهيم ناجي ، ديوان ليالي القاهرة قصيدة (عاصفة روح) .

.. بعد مليون عام بسلام: رؤوف وصفي

العلمية .. وعندما انتهت مرحلة التعليم الثانوي اتجه هو الى كلية العلوم .. بينها اخترت الهندسة . وباعدت ما بيننا الايام .. ومرت ثمانية اعوام .. ثم فوجئت بخطاب منه يصلني في شهر يونيو الماضي يدعوني الى زيارته في منزله بأحدى قرى الريف القريب ..

وانتهزت هذه الفرصة .. لارى صديقي عزيزا .. ولاقني اجازة صيف في الريف حيث كنت مرعقا في العمل واحتاج لفترة من الراحة .

وحيث ان الاحداث التي مرت بي في منزل صديقي تتعلق بالمشكلة البشرية .. فأتاني اود في البداية ان اقر ان معلوماتي عنه كانت مثل معلومات اي شخص نال قسطا من التعليم الجامعي .. فقد كنت اعرف ان المشغل ذلك العضو المعجزة من الجسم البشري .. هو عبارة عن كتلة من مادة هلامية ذات لون رمادي مائل للحمرة ويحيطها سائل خاص بالخصائص الصديات الناجمة عن الرضوض والضربات الحادة .. وهو مغلف بثلاثة أغشية .. منها غشاء خارجي يتميز بالصلابة .. وبظل المخ

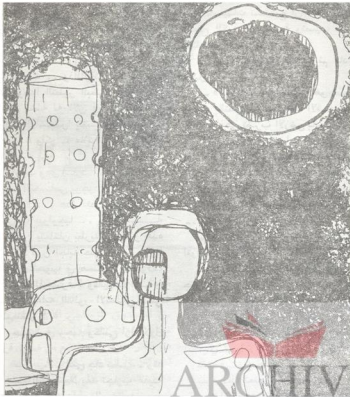
ان نفسي ما في الامر انني لا ادري كيف ابدأ رواية ما حدث .. ومنذ أربعة ايام وأنا أروض نفسي على الترام المزدق والمراوحة فيما أروي .. وقد استغرق هذا كل تفكير .. لا شك ان هذا يوق طاقة أي انسان ان يظل طول حياته فيها لحياته قريب .. شغل من تلك الحياة يوما واحدا .. بل اقل من ساعة واحدة .. وكنت احدث نفسي في شبه هذيان .. هل حدث هذا حقيقة ؟

وطفت على فكرة راسخة رأيها الأمل الوحيد في النجاة من الذكرى التي تكتسح عقلي وكياتي .. هو ان اروي للعالم كله .. قصة ذلك الحدث الرهيب ..

كان الدكتور عادل صبري في مثل سني .. قضينا طفولتنا معا .. وكنا نجلس على درجين متلاصقين نسي المدرسة الثانوية .. ولكنه كان اشد ذكاء مني .. فقد كان يحصل دائما على الدرجات النهائية في السواد

تحسنت بأصابعي المرتعدة الملمس الموضوع أمامي والمكتوب عليه (مستقبل المخ البشري) بقلم الدكتور عادل صبري .. نظرت الى المرأة أمامي .. كان وجهي مقطوعا .. وعيناي زائفتين .. وذقتني غير حليقة .. وشعري اشمعت .. كنت كائن انظر الى وجه شخص آخر .. شخص محطم تماما .

ازحت الأوراق جانباً .. وجمعت قبضتي وهويت بها في غضب على المنضدة .. وانتصبت واقتصا .. ودغمت المقعد من ورائي فسقط .. ثقل تنفسي فجأة .. وكأنها استحالة الهواء الى سائل يدخل الى رئتي .. شعرت بأن شيئاً ضخماً ثقيلًا يقف وسط الظلمة الملهمة التي انتشرت فيها اشياء صغيرة وأشباح غريبة تحول بيني وبين ان أتحرك بحرية في الغرفة . لغمت ما حولي في ياس .. وادركت انني لن اعود ابدا كما كنت .. لقد حاولت المستحيل في خلال الشهر الماضي ان أنسى الاحداث الرهيبة التي مرت بي .. ولكن دون جدوى ..



<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

لنرى ماذا افعل .. ولتساعدني على
انجاز .. فانت اعز صديق لي .
— فيم اساعدك ؟ . في تشرح
الضفادع .. يا لها من عطلة
صيف ! .
اعتدل الدكتور عادل في جلسته
.. ونظر الي طويلا قبل ان يتكلم :
— « الامر ينطوي على اكثر من
تشرح للضفادع » .
اضطجع الى الوراء .. وجذب
عدة انفاس من مسجارتة .. وران
الصمت لحظات قبل ان يسألني :
— « هل تعرف اي شيء عن
النطور ؟ » .
وقبل ان اجيب بالنفي .. اكمل
حديثه :
— « ... اعتقد انك تدرك ان
علماء البيولوجيا يقولون بان بداية
الحياة على هذه الارض قد تمت

دائما على اتصال بجرى الاحداث
ويئاتر بالضوء والصوت والرائحة
وغيرها من المؤثرات الخارجية عن
طريق الخلايا العصبية التي تترجم
على شكل هيئة نبضات كهربائية
ضعيفة ترسلها عن طريق اليااف
عصبية الى المركز الخاص بها من
المخ فيتصرف بهوجبها .. وهكذا
فالمخ يلعب الدور البيولوجي الاساسي
ليمكننا من ان نتوافق مع مختلف
الاحداث في العالم الخارجي ..

— ٢ —

وجدت منزل الدكتور عادل صبري
كبيرا وبريحا بما يكفي .. بفصرف
متنوعة منخفضة السقف ونوافذ
عريضة تطل على الحقول الخضراء
.. وبعد ان وضعت حقائبي فسي
احدى غرف النوم وبينما كانت مذبذبة
المنزل والطامية تمدان طعام العشاء
.. صحبني الدكتور عادل في جولة
لتتقذ المكان .. لقد اضاف الى المنزل
الاصلي .. ملحقا صغيرا بهيكل خارج
البناء ليتفق مع طراز المبنى القديم ..
اما في الداخل فقد كانت الجدران
مغطاة بالقرميد الابيض .. ويمتلئ
المكان بالاجهزة الغريبة الالامعة ..
وفي وسط المكان كان ثمة بناء اشبه
بالمكعب من البلاستيك الشفاف ..
تحيط به اسطوانة ضخمة من المعدن
الرمادي تمتد منها انبوبة عملاقة
مفرغة من الهواء .. وتنتهي بصندوق
زجاجي ذي لون قائم يتسع لقامة
انسان ..

ادخلني الدكتور عادل الى غرفة
مجاورة ذات ارضية من الملماط
الرمادي تحوي على المولدات
والمحركات التي تبث القوة المحركة
لمعمله البيولوجي ..

نظرت الى كل هذه الاجهزة الغريبة
بشيء من الدهشة وتساءلت :
— « ما هذا يا عادل .. هل
تجري تجارب هنا ؟ » .
ابتسم الدكتور عادل وهو يجيب :

الحي في دقائق ... مثل تأثير الاشعة الكونية العادية لمدة الاف السنين » .

— ٤ —

لا اذكر بالتحديد ماذا فعلت فسي الليلة السابقة على اجراء التجربة بمختبر الدكتور عادل صبري .. فلاحداث متداخلة في ذهني .. ولكني ما زلت اذكر بالتحديد وانا اواجهه في صباح ذلك اليوم الحار من شهر يونيو .. محاولا ان اقنعه بالعدل عن فكرة اجراء التجربة .. فقط اعطاني ملغا مكتوبا عليه (مستقبل المخ البشري) وطلب مني ان يصل هذا التقرير الى ايدي ائبنة .. لو حدث له اي مكروه ..

— « انك لا يمكن ان تصمور شعوري الان .. وانا اجري على نفسي هذه التجربة المثيرة .. لارى ما سيكون عليه الانسان بعد مئات الالوف من الاعوام » .

واشار الى الجهاز الضخم الذي يكاد يملأ الغرفة :

— « ... ان هذه الاسطوانة المعدنية هي التي تجمع الاشعة الكونية .. وتبررها عبر هذه الأنبوبة الشفافة الموصلة ثم تسقط على هذا الصندوق الزجاجي الغائم حيث سارقت .. وما عليك يا صديقي العزيز الا ان تضغط على هذا الزر الاحمر ليعمل الجهاز .. ثم تعيد الضغط عليه مرة اخرى ليتوقف .. سيندا ان يتركز الاشعة الكونية على جسمي لمدة خمس دقائق .. او ما يعادل حوالي مئتي الف عام من تطور الانسان .. والان فلتبدأ التجربة » .

محدث يدي المرتعدة الى السزر الاحمر وضغطت عليه .. وبدا للنو صوت المحركات وهي تعمل .. وظهر نور ابيض وهاج في داخل الانبوبة الشفافة الموصلة .. كنت اعلم ان الاشعة الكونية ليس لها لون .. ولم ادر ما هذا الضوء

على جسيمات تستطيع ان تصل الى سطح الكرة الارضية وتصيب كل الكائنات الحية .. . صمت برهة ليلتقط انفسه ثم عاد ليكمل :

— « ... ان هذا التأثير هو ما يسمى بالتطور .. فان تلك الاشعة الكونية وهي تضرب الارض باستمرار هي التي تسبب التغيرات العميقة في بناء خلايا الكائنات الحية .. حقا ان هذه التغيرات بطيئة .. ولكن بفضلها ارتفعت الحياة على مر الازمان .. من البروتوبلازما البدائية الى الانسان .. ولا تزال ترتفع الى اعلى » . لم استطع ان ابنع نفسي من ان اقول لي تعجب :

— « يا الهي .. لا يمكن ان تكون جادا » .

اجابني الدكتور عادل في هدوء : — « انني جاد .. حقى اني سأخاطر بحياتي غدا لاتأكد من اكتشافي » .

قلت في ذرع حقيقي :

— « ماذا تفعل ؟ » .

« لقد وجدت في الاشعة الكونية

الاول .. وسأجيب غدا على السؤال الثاني .. واكتشفت ما عسى ان يكون عليه تطور الانسان في المستقبل » .

— « ولكن كيف يمكنك ... » .

قاطعتني الدكتور عادل .. وعيناه

تتألقان :

— « لقد توصلت في الشهر الاخير الى ان افضل شيئا لم يتوصل اليه عالم من قبيل .. وهو تركيز الاشعة الكونية وازالة خواصها الضارة منها .. هل رايت الاسطوانة المعدنية الراديوية في المختبر .. انها تقوم بتجميع الاشعة الكونية التي تضرب الارض حول المختبر وتعكسها في الانبوبة العملاقة .. وهذه الاشعة الكونية المركزة .. اقوى ملايين المرات من الاشعة الكونية العادية .. ويمكنها ان تسبب تطوييرا للكائن

يخلق بروتوبلازما داخلية واحدة .. وهي كتلة هلامية نمت منها كائنات صغيرة .. ومن هذه تكونت مخلوقات بدائية بحرية .. وزواحف ارضية .. ثم ثدييات .. وذلك بتحويلات متتابعة .. وهذا التطور البطيء جدا بلغ اعلى نقطة له الان في الانسان .. ولا يزال مستمرا بنفس البطء » . — « ولكن ما علاقة التطور بعملك هنا ؟ » .

اجاب وهو شارد .. وكانها فقدتها الاحساس بوجودي :

— « ... هذا القدر من المعلومات معروف ببيولوجيا .. ولكن ثمة سؤايل يتعلقان بطريقة التطور هذه قد ظلا دون اجابة حتى الان .. اولا ما هو السبب في هذه التحولات البطيئة المستمرة ؟ وثانيا ما الذي سيكون عليه التطور الانساني في المستقبل ؟ » . خلقت في وجهه وكأني اراه لاول مرة :

— « انني جاد تماما .. وقد وجدت الحل فعلا بعد تجارب عديدة .. على احد هذين السؤالين ... وهو سبب التطور » .

سألت في لهفة :

— « وما هو ؟ » .

اجاب الدكتور عادل في تؤدة :

— « ما ظنك بعض علماء البيولوجيا منذ سنوات .. انها الاشعة الكونية » .

رددت في دهشة :

— « الاشعة الكونية » .

— ٣ —

اعتدل الدكتور عادل في جلسته .. وكانها هو على وشك القاء محاضرة : — « اجل الاشعة الكونية .. تلك الاشعة القادمة من اعماق الفضاء .. والتي تتكون من جسيمات ذات طاقة عالية .. نوى ذرات .. والكترونات تتحرك بسرعة الضوء .. وعندما تصطدم بذرات الجو تنقسم نوى الذرات وتحترق النشظايا الناتجة



الابيض المتالق .. ويرغم أن الصندوق
الزجاجي الذي يرقد فيه الدكتور عادل
.. مظلّم لا يسمح بالرؤية من الخارج
الا انني كنت اشعر انه يرتجف بعنف
داخله تحت تأثير الاشعة الكونية
المركزة .. كنت أمسك ساعتني بيدي
اليسرى .. ويدي اليمنى فوق الزر
الاحمر ..

مرت الدقائق الخمس كدهر طويل
.. وبعدها تمأنا اوقفت الجهاّز
الغريب عن العمل .. وتطلعت الى
الصندوق الزجاجي .. الذي فتح
ونهب منه في هذه اللحظات شخص
يختلف تمأنا من الدكتور عادل ..
فقد اصبح جسمه أكثر طولاً ..
يفتجر بالنشاط والحياة والصحة ..
عيناه تتلقت بالفرحة .. ويرغم انه
كان يترنح بتأثير تعرضه للاشعة
الكونية بشكل مكثف .. الا انه كان
يضحك في سعادة بالغة ..
لم استطع أن أمتنع نفسي من أن
أقول بدهشة :

— يا الهي .. ما هذا التفسير
الغريب ؟ ..

قال الدكتور عادل بسعادة غامرة
.. وجسمه المعلق القوي ينتصب
في الغرفة كتماثيل الالهة القدماء :

— « ليس تغفرا غربيا يا صديقي
.. انه شيء هائل .. انني اسبق
الانسانية بمئتي الف سنة .. انك لا
تتصور بم اشعر الان .. لقد وصل
الانسان الى كل كواكب المجموعة
الشمسية واقام بها المستعمرات ..
ووصل ايضا الى النجوم القريبة من
مجرتنا .. ان هذه الاجزاء تبدو لي
بدائية للغاية .. كادوات الانسان
الحجري بالنسبة لك .. ان التجارب
العلمية التي اخذت مئتي سنوات
يمكنني ان اجرها الان في دقائق ..
انني مستقبل الانسان يا صديقي ..
المستقبل الرابع » .

— « عادل .. لقد حققت تجربتك
بنجاح كبير .. توقف عند هذا الحد
.. واعلن للعالم اكتشافك حتى يفيد
الجنس البشري كله » .

فجأة تدفق منه غضب جنوني لم
اكن اظن انه من طبيعته .. ثار ثورة
عارمة وقال شينا اذهلني :

— « انني في اول الطريق يا صديقي
.. اريد أن أعرف المزيد من تطور
الانسان في المستقبل .. أرجوك
اضبط على الزر لمدة خمس دقائق
أخرى » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrif.com

— ٥ —

لا انكر ان التجربة قد أصبحت
مثمرة بالنسبة لي .. ومن ثم نفذت
تعليماته دون مناقشة وأنا في شوق
بالغ لأرى ما الذي سيحدث للانسان
في المستقبل البعيد .. مرت الخمس
دقائق سريعة جداً .. واوقفت الجهاز
وكلي لهفة لأرى النتيجة .. وما
الذي سيكون عليه الانسان بعد
اربعمائة الف عام من الان .. لم
يخرج أحد من الصندوق الزجاجي ..
انتابني القلق الشديد فهرعت اليه
وانا ارتعد .. ولكن في هذه اللحظات
حدث شيء غريب ..

شعرت ان صوتا عجيبا يهمس لي
.. داخل ذهني :
— « لا تخف انني بخير .. اقترب
أكثر من الصندوق » .

وفزعتم لان الصوت لم يصدر من
مصدر خارجي .. بل شعرت به
في داخل رأسي .. اقتربت في حذر
من الصندوق الزجاجي الذي بدا لي
فجأة كتابوت .. لم استطع أن أمتنع
صرخة رغب من ان تندفع من فمي ..
لقد كان في الداخل مخلوق غريب فقد
تحول الدكتور عادل الى جسم نحيف
ضئيل للغاية .. ورأس هائل بعروق
بارزة .. تبلغ حوالي خمسة أمثال
الرأس البشري العادي في أيلنا هذه
.. وعيناه صغيرتان جدا

عاد الصوت يتحدث داخل ذهني :
— « أجل يا صديقي .. هذا هو
الانسان بعد اربعمائة الف سنة ..
مجرد كتلة من الذكاء الخارق .. فقد
وصلت الخلايا الى ذروة قوتها ..
وجسم ضئيل لا قيمة له .. أما
الاتصال فبتمبادل الافكار .. ان
للتطور بقية فانا اريد ان اصل الى عالم
بليون في المستقبل » .

سمعت الجملة الأخيرة داخل
ذهني .. لم تكن رجاء .. ولكنها
كانت أمراً لا يقبل الرفض .. حاولت
أن ارتدد أو أن أفكر في الهرب من هذه
الغرفة .. ولكني احسست بالسم
شديد في داخل رأسي حتى انني كنت
ان أفقد توازني .

— « لا تردد في تنفيذ اوامري » .

هنا حدثت لي مأساة

شعر
حسين
علي
محمد

(١)

جنتك في الليل
لما نام الناس
ورحفت كصرصار
خوفا من أن يلحقني الشرطي
(يعرف أنني جنتك
كي أقتبس تسعاعا من سر)
فيلاذمني ..
ويقاسمني في الميراث !

(٢)

هأنذا أقت على راسك
— معذرة ، أقت على رأس المقبرة — أنادي
لكن ..
هل تسمع أذاك ندائي ؟
أصرخ ، أتولب ...
التي بالراس المتعب في استخذاء
أبصر على ظهر جوادك
(تمتشق سيف ، وتبتسم)
وتهدن إلي بيدك البضة وردة
لكنني أخشى هذا القرس الجامع
أن يركلني في بطني ويفر
وأنتا تقولين
ثبت قلبك ، فسيحك القرس إلى الشط الآخر
قبل أذان الفجر

(٣)

جنتك في الليل الإيتم
وتحدثت إلي كثيرا ، لكنني لم أفهم
كان صهيل جوادك يتردد في الأفاق
وكنتم أموت من الفطخ ، ولا أجرؤ أن أنكلم
فالخوف من الصائل أجهضني
جف التنبؤ بصدري ، وتمعقيني
فوقعت على الأرض قتيلة

(٤)

نصبوني تمثالا ..
ما علموا أنني مت
الا من ادنى حشرة
نخرت جوفي ففسقت
ضحك الجبناء كثيرا ، وعرفت
أسرار العالم !
لكن .. بعد قوات الوقت

جاءت هذه الفكرة في داخل ذهني
.. كومة خاطفة من اللهب ..
أسرعت إلى الزر الأحمر وضغطت
عليه بقوة حتى أتخلص من ذلك الألم
الذي لا يحتمل .. ولم تبر دقيقتان
حتى اهتزت الأرض تحت ثائثي
انفجار الصندوق الزجاجي .. ثلثه
انجارات شديدة في كل الأجهزة
وتصاعدت أبخرة بيضاء حجبت
الرؤية عني تماما .. وبين قطع
الزجاج والبلاستيك المتناثرة ..
ورائحة الاحتراق النافذة .. هزعت
خارجا وأنا أترنح لانجو بنفسي من
هذه الجحيم المستمرة ..

— ٦ —

بقيت في مستشفى للأعراش
المصيبة حوالي شهر كامل .. لكي
أعالج من الصدمة التي تعرضت لها
في مختبر الدكتور عادل صبري ..
وفي تقرير الشرطة أرجعوا سبب وفاة
صديقي إلى انفجار في مختبره أثناء
إجرائه لبعض تجاربه البيولوجية ..
أما التغييرات التي كشف عنها تشریح
الجثة فقد قالوا بأنها نتيجة (مرض
غريب) أصيب به الدكتور عادل قبل
وفاته ..

لقد لزمت الصمت طول هذه المدة
لأنني لم أكن في حالة تسمح لي
بالاعتراف بأي شيء .. بالإضافة
إلى أنني لم أتوقع أن يصدمني أي
إنسان .. ولكني الآن وبعد أن مرت
فترة النقاهة .. انسح كل الحقائق
إمام المسؤولين

أجل .. أنني أضع ملف (مستقبل
المخ البشري) بقلم الدكتور عادل
صبري .. والذي يحتوي على كل
تفاصيل تأثير الأتعة الكونية على
خلايا جسم الإنسان وتطوره .. تحت
تصرف أي جهة علمية .. قد ترى
استخدام المعلومات التي يحتويها
الملف .. من أجل مصالح الجنس
البشري .. ومن أجل السلام

رؤوف وصفي